السنة السابعة   العدد ٩   ١ ايّار سنة ١٩٠٤

المشرق

فرائض الولاء لملكة السماء

ذا عام خمسين قد دقّت بشائرُهُ يوبيل بكرٍ صفاها الله من ازلِ
فالآبُ فضّلها والابن جلّلها والروح ظلّلها جلّت عن المثَلِ
هبّت جحافلُ ابليس لترصدها فارتدّ في نحرهِ كيدٌ مع الفشلِ
يُهنيكِ نصرُكِ ام الله منعمةً طوباكِ ظافرةً بالبرّ في الجبَلِ
هذي تحيّتُنا في صدر مشرقنا تُهدى لسيّدةٍ في افخر الحُلَلِ

انّا بكلّ طيب قلب في غرّة ايّار الشهر المريمي نُلبي دعاء الملك الرحمات لاون الثالث عشر وخلفهِ الجليل بيوس العاشر الجالس سعيدًا على السُّدّة البطرسيّة فنخصّص هذا العدد من مجلّتنا لمشاركة العالم الكاثوليكيّ في افراحهِ بنسبة اليوبيل الخمسينيّ لاثبات عقيدة حبل العذراء البريّ من كل دنس الخطيئة الاصليّة على يد الطيّب الذّكر بيوس التاسع سنة ١٨٥٤

كيف لا ولبلادنا الشرقيَّة السَّهم الاعلى والنصيب الاوفى من نعم هذه البتول الطاهرة وبركاتها الغزيرة الوافرة . ولا غرو فان في شرقنا قد نبتت هذه السوسنة المباركة التي عطَّرت باريجها كل افناء المسكونة . وفي الشرق نالت ذلك الظفر الباهر بعدوّ الجنس البشريّ وسحقت رأس الحيَّة الجهنميَّة . وفي الشرق وُلدت ذلك المولد العجيب الذي سرَّ السماء والارض وأطفأت نار غضبه تعالى على الجبلة الآدميَّة . وفي الشرق نشأت واثمرت للعالم ثمرة الحياة مع دوام بتوليتها . كما انَّ الشرق تشرَّف برقادها الاخير ومنهُ نُقل جسمها الطاهر الى المظالّ السماويَّة . ولم يزل الشرق مذ ذاك الحين يبجّلها ويعظِّم مفاخرها ويستدرّ سوابغ نعمها ويدافع جهاراً عن مناقبها السامية لاسيَّما امومتها الالهية وحبلها الطاهر من كل وصمة الخطيئة

فلتقبل هذه البتول السيدة والامّ الحنونة تقدمتنا هذه الزهيدة كعربون شكرنا لأفضالها ورمز محبتنا الخالصة وتعبُّدنا لجلالها ملتمسين من مراحمها ان تشفع بابناء جلدتها الشرقيين وتسبغ عليهم نعمها الفائضة وتجمع عقولهم في وحدة الايمان كما اجتمعت قلوبهم على محبَّتها وتحظيهم يوماً بالسعادة الدائمة بصحبتها امين اللهمَّ امين

عقيدة الحبل بلا دنس

في الكنائس الشرقيَّة

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ الكنيسة الكاثوليكية في تعاليمها ومجامعها وبراءات احبارها لا تخترع العقائد التي تعرضها لمعتقد ابنائها بل تُعلن بها فقط اذ هي حارسة لوديعة الايمان التي قبلتها من السيد المسيح على يد رسلهِ الاطهار. فلا تزال تصونها صيانة اثمن الكنوز واكرم الجواهر. على انَّ ثروتها واسعةٌ جدًّا لا تنفد وانَّما تنفق منها ما تراهُ اجدر بحاجات البشر على مقتضى كرور الاعصار فتستخرج من دفائنها ما كان مطمورًا وتنشر على رؤوس الاشهاد ما كان مستورًا. فهذا فعلها اذا ما حاولت البدع الحديثة ان تزرع زؤان الضلال في حقل القلوب. فانَّها تعمد الى تقليدها الثابت وتزيّف التعاليم المستحدثة بقوَّة حججها الراهنة فتبكم افواه المضلّين وتفحم ألسنة الكاذبين. فهكذا ردَّت كيد اريوس في نحرهِ لمَّا انكر لاهوت السيّد المسيح وتصدَّت لمزاعم نسطور وابطلتها لمَّا قسم المسيح وجعلهُ اقنومين وذهب الى ان البتول العذراء امّ انسان فقط. وكذلك تحكم الحكم الفصل اذا ما نشأت بين الكاثوليك آراء متباينة فتفرز بين الصحيح والباطل وبين الحقّ والضلال

وهذا ما فعلتهُ في منتصف القرن السابق منذ خمسين عامًا لمَّا قام ذلك الحبر السند والامام الاوحد بيوس التاسع فأعلن وحدَّد بعد البحث المعمَّق والنظر المدقَّق واستشارة اساقفة العالم الكاثوليكي بان البتول الطاهرة والدة الله بنعمةٍ خصوصيَّةٍ لم ينلها سواها حُبل بها بلا دنس الخطيئة

الجدّية اي خطيئة آدم الاصليّة ومن ثمّ انّ هذه الحقيقة احدى العقائد التي ورثتها من المسيح بتقليد متواصل لا ريب فيه ومن شكّ فيها استحقّ ان يُفصَل من جسم الكنيسة

فيقول امام الاحبار ، انّ هذه الحقيقة احدى العقائد الموروثة بتقليد متواصل ، اشار الى ان الكنائس الشرقية التي هي قسم معتبر من كنيسة المسيح توافق في هذا الصدد الكنيسة الغربيّة . ومن ثمّ احببنا ان نجمع هنا بعض الشواهد الناطقة بمعتقد الشرق بحبل العذراء البريّ من الدنس لترى انّ ايمان الكنيسة اليوم كما كان سابقاً وانّ الرُسل الذين بشّروا بتعاليم المسيح في بلادنا لم يعلّمونا غير ما علّمهُ اخوتهم الذين بشروا في البلاد الغربيّة

*

وقبل ما نورد بعض هذه الشهادات الصادقة والآيات البيّنة الناطقة لا بدَّ لنا من توطئة نمهّد بها الطريق لادراك هذه النصوص فنقول :

انّ معنى قولنا « بانّ مريم العذراء ام الله حبل بها بلا دنس » لا يُراد بهِ انّ هذه البتول وُلدت كما وُلد المسيح لذكرهِ السجود على غير طريقة البشر . فانّ ذلك لم يخطر على بال احد من الكاثوليك الذين يقرّون علانيةً بان لمريم العذراء ابوين طبيعيين وهما القديس يواكيم والقديسة حنّة . بل غاية ما نقول انّ البتول الطاهرة منذ اوّل دقيقة حياتها في احشاء والدتها لم تكن تحت رقّ عبوديّة الشيطان خزاهُ الله وذلك بخلاف البشر اجمعين الذين بعد عصيان آدم الجدّ الاوّل ورثوا عنهُ خطيئتهُ الاصليّة فيولدون كما يقول بولس الرسول ابناء غضب واعداء لله عزّ وجلّ . وانّما استُثنيت مريم العذراء من هذا الحكم لا لاستحقاقاتها الخاصّة او بفضلها السابق بل بنعمة فريدة نالتها سلفاً منهُ تعالى بالنظر الى استحقاقات ابنها السيد المسيح الذي

كان مزمعاً ان يتّخذ من احشائها الطاهرة جسداً بشريًا ويلبس منها طبيعتنا فيضمّها الى طبيعته الالهية بوحدة اقنوم لاهوته

وليس في هذا الامر ما يوجب اندهالاً لانَّ شرف الثالوث الأقدس كان يقتضي بان تكون امّ الكلمة المتجسد خالية من كل دنس لا عيب فيها البتّة . وذلك انَّ البتول مريم بولادة ابن الله صارت مشاركةً للآب الازلي فولدت في الزمن بالجسم ذلك الذي ولده الآب قبل كل الدهور بطريقة العقل . أَفكان يليق بالآب ان يسمح بان تُخلَق مريم ملطَّخة بالخطيئة الجدّية . وكذلك الابن لم يكن ليرضى لهُ بوالدةٍ الّا ان تكون مزدانة بكل حسن وجمال لا ينقصها فضل او كمال . واوَّل هذه المحاسن ان لا تكون مريم اسيرة ابليس الذي جاء المسيح ليهدم سلطتهُ بحيث لا يستطيع الخنّاس يوماً ان يفتخر عليه بانهُ استعبد امهُ . وكذلك الروح القدس الذي جعل قلب البتول كمقدس لجنابه لم يمكنهُ ان يسلّم عروسهُ مدّةً لحكم عدوّ البشر ليدنس هيكل نفسها الطاهر وهو يريد ان يحلّ عليها ويظلّلها بقوّته العلويَّة

وزد على ذلك انَّ مقام مريم العذراء وعظمتها وما نُدبت اليهِ من المهام الممتازة يستوجب طهارتها منذ اوَّل دقيقة من حياتها فانَّ النصارى كلهم يعترفون بان مريم العذراء ملكة السماء وسلطانة الملائكة . فليت شعري كيف تفوق الملائكة اذا رأوا في بعض اطوار حياتها اثر الدنس . وكذلك تقرُّ بأنَّها شاركت المسيح في عمل الفداء ولكن كيف يحاول خلاص غيره من يحتاج الى الخلاص . ثم انَّها أُقيمت شفيعة للبشر ووسيطة بين ابنها الالهي والخطأة فهل تستطيع ان ترد غضبهُ تعالى عن الجبلة البشريَّة اذا كانت هي نفسها موصومة بوصمة الخطيئة التي اثارت غضب الله ؟ لا لعمري . فهذا واسباب اخرى عديدة تبيّن بياناً واضحاً ان مريم البتول حُبل بها بريئة من كل خطيئة

اصليَّة وان ابليس لم يجد ما يعيّرها به بل سحقت راسهُ ومزّقت شمل قوّاتهِ الجهنميَّة

*

لكنَّ هذه البراهين العقليَّة لا تبتّ الامر قطعياً لو لم يكن لدينا ادلَّة اخرى وضعيَّة تزيل الشبهة. واوَّل هذه البيّنات ما ورد في الاسفار المقدَّسة من اقاويل واشارات ورموز متعدّدة اذا جُمعت وسُبرت بمعيار العقل المجرَّد من الاهواء. اثبتت هذه الحقيقة لاسيَّما اذا أُضيف اليها تفسير الآباء وملافنة الكنيسة. واخصّ هذه الأقوال ما ورد في سفر التكوين (١٥:٣) حيث قال الله لحوَّاء المخدوعة وللحيَّة الخادعة التي اختفى الشيطان تحت صورتها: أجعل عداوةً بينكِ وبين المرأة وبين نسلكِ ونسلها فهو يسحق رأسكِ وانت ترصدين عقبهُ ». فاتفق الآباء على ان هذه الآية لا تشير فقط الى انتصار المسيح على الحيَّة الجهنميَّة بل الى ظفر والدته ايضاً بعدوّ البشر اجمعين لانَّ هذه العداوة بين المرأة وبين الحيَّة دائمة كما يظهر وهي تدلُّ دلالة صريحة على انَّ الحيَّة اي ابليس لم يمكنها البتَّة ان تظفر بها في اي ساعة كانت من حياتها. بل نسبت بعض الترجمات القديمة سحق رأس الحيَّة للمرأة عينها فقالت: « وهي تسحق رأسكِ» لا «وهو يسحق». وكذا فسَّر الآية بعض الآباء الشرقيين انفسهم من جملتهم القديس غريغوريوس النيصصي. ولا نتتبَّع بقيَّة آيات الكتاب الكريم المشيرة على قول الآباء الى طهارة البتول الاصليَّة كقول الروح القدس عنها في نشيد الانشاد: « كلكِ جميلة يا خليلتي ولا عيب فيكِ » وكقولهِ: « كالسوسنة بين الشوك كذلك خليلتي بين البنات » او ما نُسب اليها في سفر الامثال (٢٢:٨): « الربُّ ملكني منذ بدء طرقهِ » وغير ذلك مما تتّفق الكنائس الغربيَّة والشرقيَّة على تخصيصهِ بالعذراء الطاهرة. وانَّما نكتفي بذكر اقوال الملاك جبرائيل لها عند سلامهِ عليها: « السلام عليكِ يا

ممتلئة نعمة » وهو قول لا يصح تماماً اذا كانت مريم خالية من النعمة الاوليّة اعني البرّ الاصلي اذ تكون فاتتها لو خُلقت مدنسة بالخطيئة الجدية اكبرُ النعم واشرفها. كذلك لا يصح فيها قوله: « انكِ مباركة بين النساء » اذا لم تنل نعمة البرارة الاصليّة التي خُلقت بها حواء في الفردوس

وفي هذه المقدمات كفاية فيمكننا الآن ان نتخطى الى ما اردنا بيانه اعني شهادات الكنائس الشرقية على حبل العذراء مريم بلا دنس فنسردها على حسب ترتيب حروف المعجم مباشرة بالكنيسة الارمنيّة ثم السريانية فالقبطيّة فالكلدانية والمارونية فتكون الكنيسة اليونانية مسك الختام

١ الكنيسة الارمنيّة

انّ تعبّد الكنيسة الارمنيّة للبتول الطاهرة ام الله لامرٌ مشهور (راجع مقالة حضرة الاب نرسيس صائغيان في المشرق ٦: ٧٥٢). وممّا اثبتهُ البابا بنادكتوس الرابع عشر في كتابهِ عن اعياد السيد المسيح والطوباويّة العذراء مريم (المطبوع في رومية سنة ١٧٥١ ص ٥٤٩) انّ عيد حبل العذراء مريم بلا دنس كان جارياً في الكنيسة الارمنية قبل دخوله في الكنيسة الغربية منذ القرن التاسع. امّا اعتقادها بهذه الحقيقة فيظهر جليّاً من الاوصاف العجيبة التي ينعت بها كتبة الارمن السيدة العذراء ممّا دخل في كتب طقوس هذه الكنيسة (١

قال يعقوب الاوّل البطريرك (+١٢٨٧) في عيد ولادة العذراء: « في هذا اليوم نبتت من حنّة تلك العوسجة اعني مريم العذراء التي اتّقدت فيها النار الالهيّة بنور لا يُدرك فرأى بها موسى في سينا رمزاً عن البتول. اليوم اعطانا الحتلان الشرعيّان يواكيم وحنّة تلك الجزّة السماويّة التي نزل عليها الندى

١) راجع كتاب « التسابيح المرعيّة » المطبوع في البندقية بالارمنية واللاتينية سنة ١٨٧٧

فامطرت النعمة وسال منها نبع الحياة (ص ٢). وقال ايضاً: «انتِ الارض الناطقة والحقل الخالي من اشواك الخطيئة» (ص ٦)

وقال ڤرتان الكبير في القرن الثاني عشر: ايها الكلمة الالهي المولود من الآب قبل النور بلا والدة قد اخترت لكَ اليوم اماً بريئةً من الدنس وُلدتَ منها بلا اب (ص ١٤). وقال: «انتِ هي ام الرب والدة الله المرتفعة فوق الساروفيم والكاروبيم انتِ تابوت العهد واناء الذهب والخباء السرّي الذي نزل فيهِ كلمة الاب»

وقال غريغوريوس الثالث البطريرك (+ ١١٦٦) في تسابيح عيد البشارة: «انّنا لنعظّمكِ جميعاً يا هيكل الله الطاهر من كل عيب ويا عوسجة غير محترقة التي حملت فيكِ نار اللاهوت التي لا تُطفأ واطفأت نار الرذائل في طبيعتنا البشريّة» (ص ٢٠)

وفي هذه التسابيح الطقسية اقوال عديدة تُشعر بهذا المعتقد فانها تارةً تدعو مريم «الساروفيم الارضية» (ص ٦٤ موسى الخوريني في القرن الخامس) او «الساروفيم المتجسدة» (ص ١١٠ بطرس الاوّل البطريرك +١٠٥٢) بل «اسمى من الساروفيم» (ص ٦٤ موسى الخوريني) و«ابهى من السماوات» (ص ٨٠ نرسي الكلاجي). هي «الشجرة العطريّة التي غرسها الله عينهُ وجعلها على مجرى انهار الروح فاثمرت في حينها ثمرة الخلود» (ص ٧٨ ك). هي «مبطلة اللعنة التي تحت صكّ هلاكنا واقامت امّنا الخاطئة من سقوطها» (ص ٦٨ موسى الخورينيّ)

وهذه كلّها اقوال لا تصدق في العذراء إلّم يُسلَّم بأنها بريئة من الخطيئة الاصلية. بل جاء لبعض الكتبة ما يصرح بالامر واضحاً كقول جرجس النارکي في القرن العاشر: «انّ مريم ابنة طاهرة للام الاولى الجانية فانّها بريئة من جرثومة الخطيئة خلوة من لعنة الجنس البشري»

وكذلك في المكتبة الواتيكانية رسالة البطريرك الارمني كاتشدور ارسلها سنة ١٦٦٣ من حلب الى الكرسي الرسولي بايعاز الاب بسّون اليسوعي يقول فيها ما تعريبهُ بالحرف:

« انا كاتشدور بطريرك الارمن وجميع طائفتنا نقرّ بانَّ امَّ الله مريم وُجدت طاهرة ومصونةً تماماً من كل خطيئة اصليَّة وهذا ما استفدناهُ من اقدم معلّمي كنيستنا »

٢ الكنيسة السريانية

انَّ الكنيسة السريانية كانت قديمًا تحتفل في يوم واحد بميلاد العذراء وبحبلها البريء من الخطيئة الاصلية. ومن ثم تجد في الصلوات الطقسية التي تُتلى في ذاك العيد ما ينطق صريحًا بهذه العقيدة. فمن ذلك ما جاء في رمش العيد: « انَّ صلاتها (حنَّة) طارت الى السماء البهيّ وللحال حبلت حنَّة بمريم بالبرّ بعد زمن العقر ». وهناك ايضاً وصف ادعية القديس يواكيم ثم يقول: ورأى الرحيم بؤس يواكيم ولبّى دعاءهُ وللحال حبلت حنَّة الصالحة بمريم البتول الطاهرة البارة ». وفي فرض السحر يقول: « السلام عليكِ يا مدينةً محصَّنةً التي لم تملك الخطيئة عليها قطّ » (١

ولآباء الكنيسة السريانية نصوص متعدّدة لا تُبقي شكًا في معتقد طائفتهم ببراءة البتول من الدنس الاصلي. فمن ذلك قول القديس افرام كنّارة الروح القدس وهو يوجّه كلامهُ الى العذراء: « طوبى لكِ اذ قد زالت بكِ اللعنة التي الحقتها حوّاء بالاناث » (في مدراش تهنئة العذراء بميلاد الرب). وقال ايضاً (في مدراش البتولية): « فليكبت ابليس خزياً اذ يجد ان فسادهُ معدومٌ في مستودعكِ ». وقال في احد مداريشهِ النصيبيَّة

١) راجع مجلة التمدُّن الكاثوليكي سنة ١٨٧٦ (ج ٤ ص ٥٤٨—٥٥٠

يخاطب السيد المسيح: « انكَ انت وحدكَ وأمك تسوان حسناً على الجميع اذ لا عيب فيك ولا شائبة في امك ». وقال يقابل بين مريم وحواء (ج ٢ ص ٤٢٧ من اعماله): اثنتان طاهرتان اثنتان سليمتا الغريزة مريم وحواء. قد جعلتا متوازيتين فكانت الواحدة علة موتنا والاخرى علة حياتنا. وفي صلاة عيد انتقالها الى السماء يقال: « لقد أُعفيت مريم بروح القدس من لعنة الامّ الاولى لأنها لم تفتح قطّ باب الخطيئة »(١

ومن اقوال يعقوب النصيبيني في احدى تسابيحه: « كيف اصف صورة البتول مريم الممتلئة من كل اصناف المحاسن. انّ الله قدّس جسدها فتشبه حوّاء أمّا قبل شهوتها الثمرة المحرّمة ». وهو القائل: « قد اختار لهُ العليّ بتولاً طاهرةً سبق فطهّرها وصانها لذاته بل خطبها لنفسه وشاء ان تكون وحدها بلا عيب بريئة من كل دنس فنزل وسكن فيها وهي الطوباويّة الممتازة كمالا الطاهرة بالجسد والمقدّسة المختومة بالنفس ». وهذا تعليم القديس يعقوب السروجي بلا ريب فانهُ هو القائل:(٢ « لو وُجد في نفسها دنس او نقيصة لالتمس (ابن الله) لهُ امّاً اخرى سالمةً من الدنس ». وقال: « كما انّ مريم كانت بتولاً طول مدّة حياتها كذلك سكنت دائماً القداسة في نفسها ». وقال: « انّ ابن الله بواسطة روحه القدوس جعلها طاهرةً بارّة مباركة كما كانت حوّاء نفسها قبل ان تخاطبها الحيّة »

هذا ونضرب صفحاً عن شواهد اخرى لا تُحصى وصف بها الآباء السريان مريم باوصاف لا تليق الّا بمن خلت من كل خطيئة اصلية. ومن ثمّ

١) راجع منشور غبطة السيد البطريرك اغناطيوس افرام الثاني المطبوع في الشرقة (ص ٥–٨)

٢) راجع كتاب المسيو لامي: De vita et scriptis S. Jacobi Sarugi episcopi, *Lovani* 1867, p. 187-195

لا عجب اذ اقرّ البطريرك اغناطيوس اندراوس سنة ١٦٦٣ معترفاً بعقيدة براءة البتول من الخطيئة الاصلية وفقاً لتعليم الآباء. فقال:

« انا الفقير اغناطيوس اندراوس البطريرك الانطاكي على السريان اثبت ما عرضهُ عليَّ الاب يوسف بسُّون اليسوعي في امر براءة العذراء مريم الكليّة الطهارة من الخطيئة الاصلية واقرّ بانهُ موافق للتعليم الارثذكسي كما علّمهُ كثيرون من الآباء الأقدمين ومن ملافنة الكنيسة الشرقية »

٣ الكنيسة القبطية

قد امتازت الكنيسة القبطية بعبادتها للبتول المغبوطة امّ الله. ومما تفرّدت بهِ انها خصّت شهر كيهك برمّتهِ لمدح العذراء مريم ولها في صلوات ذلك الشهر اوصاف غاية في الحسن والرقّة تجدها في كتاب الثاوتوكيات. فانّها ليس فقط تطري عظمتها فتدعوها البتول الكلية القداسة (ص ١٢٥) المباركة بين كل النساء (٢٥٣) التي لا مثيل لها (٢٣٨ و ٢٦٤) وانّها اعظم من الآباء والانبياء والقديسين (٦٨) وانور من الشمس (١٢٦) بل تسمّيها ايضاً امّ الاحياء (٩٥) مقدس البرارة (٢٤٨) شجرة الخلد (٢٠٦) وربّما قابلت بين نقاوتها ونقاوة الساروفيم والكاروبيم وصرّحت بأنّها تفوقهم جميعاً بنقاوتها (ص ١٤٦) وتتقدّمهم بثقة اعظم لبرارتها (٦٨)

وكثيراً ما تشيد في خلوّها من كل دنس فتدعوها الاناء المختار الخالي من كل دنس (١٠٢) والتابوت الذي لم يقبل الفساد (٢٠٨) وعلّيقة موسى التي لا تحرقها النار (٩٠ و١٠٨ و ١١٩) وفلك نوح المرتفع فوق المياه التي فيها يغرق الكل (٣٢٩) والحمامة البهية التي بشّرت بالصلح بين الله والبشر (١٣٧)

واذا ذكرت آدم وخطيئةُ استثنت السيّدة البتول فتقول أنّها خلاص

آدم وفرح حوّاء (٦٤ و ٨٢) وانَّ بمريم دخل آدم الى الفردوس بعد ان تثاقل حكم الموت والفساد على كل جنسنا وعلى طبيعتنا جمعاء اذ اتّبع آدم مشورة حوّاء فاكل ثمرة الشجرة (٨٧) وأنها مجد العذارى وامّ الله التي بها دُفعت اللعنة القديمة تفتح باب السماوات (١٠٩) .وفي التسبحة التي يترنّم بها الشعب في آخر القدّاس في اعياد العذراء بالعربية ما يؤيد هذا المعتقد لاسيّما هذين الدورين :

بريئةٌ نقيّةٌ من بطن امّكْ عفيفةٌ نقيّة في طول دهركْ
سلطانة ابدية شبه ابنكْ نرفعكِ بالتمجيداتْ
انتِ شريفة دون الناسْ نقيّةٌ من كل الادناسْ
واتانا منكِ الخلاصْ نعظمكِ كلّ الاوقاتْ

فهذه الاقوال وامثالها كثيرة قد جمعها حضرة الاب الكسيس مالون اليسوعي في مقالة مطوّلة يثبت فيها عبادة الاقباط لمريم العذراء امّ الخالق

٤ الكنيسة الكلدانية

آباء كنيستنا الاوّلون هم انفسهم آباء الكنيسة السريانية فاقوالهم حجّة لدى الكلدان كما يستشهد بها السريان فلا حاجة الى التكرار. وهذه بعض نصوص أخرى اوردها الكلدان في تآليفهم .منها تسبحة القديسين يواكيم وحنّة ابوي العذراء اقتطفها الكلدان من كتاب قديم وارسلوها للاب بسون اليسوعي سنة ١٦٦٣ فأثبتت مجلّة التمدّن الكاثوليكي ترجمتها اللاتينية في عددها الصادر في ١٨ ت ٢ سنة ١٨٧٦ وفي آخرها : « انَّ الملاك بشّر حنّة بابنتها فحبلت حبلًا بقي منهُ ابليس مبهوتًا... لم تسقط (الابنة) بفخاخ الشيطان ولم يعمل فيها مكرهُ وخبثهُ . ولم يستطع العدوّ مع كل قوّاته ان يمسّ براءتها بظفرهِ »

وللجاثليق ايليّا الثالث المعروف بابي الحليم بن الحديثي اوصاف عجيبة

تنبئ باعتقاده ببرارة مريم الاصليّة (ص٢١ من نسخة مكتبتنا الحلبيّة و ١٤ من الطبعة الموصليّة): «السلام عليكِ ايتها السماء الثانية التي لمعت في بروج سمائكِ بوارق الرحمة وضرب في مروج احشائكِ سرادق العزّ والعظمة. السلام عليكِ ايتها الجزّة السماويّة التي ترشّش عليها طلّ السماء... يا حديقة الحكمة السمائيّة التي نبتت على جداولها شجرة الاختصاص. وفردوس النعمة الروحانية التي خُلق فيها آدم الثاني مفيد الخلاص... يا مقصورة الرحمة... وقدس الأقداس... انتِ هيكل الهياكل الناطقة الذي لم يطأه اقدام البشر. بل حلّهُ الاله بالرضى والمشيئة والإنعام المبتكر»

وللشاعر النسطوري الشهير جرجس وردة في القرن الثالث عشر ابيات عامرة في العذراء مريم يطري فيها طهارتها الفائقة على طهارة الملائكة. ومما قاله وكرّره فيها «أنها فردوس عدن مغروس من الله» وأنها «مقصورة شيّدها العلي بعزّة قوّته» وأنها «وحدها خالية من اثم حوّاء»

وكذلك في ايامه اشتهر يوحنا الموصلي صاحب الدليل الروحي الذي همّ بطبعهِ السيد الجليل ايليا ميلوس رئيس اساقفة ماردين في رومية سنة ١٨٦٨ ولهذا قصيدة طويلة (ص٢٥١—٢٦١) في مناقب العذراء ومما ورد فيها ما تعريبهُ: «من يستطيع ان يدرك او يفسّر عظائم تلك البتول العفيفة البارّة القديسة... التي قُدست منذ حُبل بها واختارها الله من الرحم» ومنها قولهُ: «مباركةٌ انتِ يا جزّةً رآها جدعون فعرف سرّكِ لأنّ الندى الذي نزل عليكِ لم ينحدر على سواكِ والسيل الذي انصبّ على كل الامكنة فافسدها لم ينزل عليكِ منهُ ولا نقطة واحدة»

• الكنيسة المارونية

انّ اعتقاد الطائفة المارونية بحبل مريم البريء من الخطيئة الاصليّة اشهر

من ان يُذكر. وقد جمع آخرًا الابوان الفاضلان القس يوسف حبيقة الراهب الماروني الإسكنتاوي وشقيقهُ الخوري بطرس شهادات متعددة من فروض الكنيسة المارونية تصدع ببراءة العذراء من دنس الخطيئة الاصليّة فطبعاها في المطبعة اللبنانية في بعبدا مع نقلها الى الافرنسيّة فنختار منها قليلًا من كثير. ورد في باعوت القومة الاولى (ص ٣٤): «يا مباركةً في النساء التي بواسطتها استؤصلت لعنة الارض وحُكم اللعنة انتهى منها فصاعدًا». وفي حساي ستار الميلاد (ص ٤٣): لذلك (اي المسيح) الذي حُبل بهِ في الحشا الذي اتقنهُ باختيارهِ وحُبس في البطن الذي خلقهُ طاهرًا واشرق من الحضن الذي برأهُ مقدسًا وولد من البتول التي حفظها نقيّة».

اما صلوات التشمشت فهي ملأى بالنصوص عن الحبل بمريم الطاهر لكنها حديثة العهد نكتفي بذكر ما يلي. فمنها (ص ٤٨): «انّ الروح القدس قد ابان في نشيد الانشاد عن الحبل بكِ بدون دنس فقال كالسوسنة بين الاشواك كذلك قرينتي الجميلة بين البنات اللاتي سقطن في الاثم». ومنها (ص ٥١): «انّ مريم وعدها قبلت نعمة الروح القدس منذ وجودها في حشا امّها ونجت من اللعنة العامّة التي حلّت بنا بتجاوز (آدم) للوصيّة الاولى بجسارة». ومنها في صلاة الصبح: «انّ ملافنة البيعة الحقيقيين الذين تكلّموا بالروح القدس اثبتوا لنا انّ مريم ابنة حنّة لم تتدنّس بالخطيئة وقد انجلى الراي من تعليمهم الشريف». وتقول في احد الالحان (ص ٥٧): «ويل لمن يكفر قائلًا انّ مريم مكثت تحت استيلاء الشرير ولو زمنًا يسيرًا اذ حُبل بها من امّها العاقر»

ولا حاجة لإيراد اقوال الآباء فانها قد سبقت في كلامنا عن الكنيسة السريانية. ونكتفي بشهادة البطريرك اسطفان الدويهي التي سلّمها للاب بسّون اليسوعي سنة ١٦٦٣ اذ كان خوريًا في حلب قال:

« انا اسطفان الدويهي الحقير بين رؤساء كهنة حلب ومرسل مجمع انتشار الايمان اعترف واقرّ ان سيدتنا الكوكب اللامع والطاهر الساطع كانت خالية بريئة من كل خطيئة اما حالية واما اصلية بل لم يُقضَ عليها بان تلطخ بها البتة بنعمة خصوصية من ابنها كما ورد في كتب طائفتنا المارونية والصلوات السريانية التي الّفها الآباء القديسون والملافنة المختارون »

٦ الكنيسة اليونانية

كما انّ آباء الكنيسة اليونانية قد امتازوا بتآليفهم الفريدة وبشهاداتهم على كلّ التعاليم والتقاليد الثابتة الموروثة من الرسل فكذلك ترى اقوالهم عن براءة العذراء مريم من كل دنس اسطع دليلًا من سواهم

وما يجب استلفات النظر اليه اوّلًا انّ عيد الحبل بلا دنس شاع بادئ بدء في الكنيسة اليونانية وهو فيها قديم جدًا. بيد انهُ لم يُعرَف بهذا الاسم وانما دُعي عيد حبل حنّة ولهُ رتبة خصوصيّة وطقوس بهيّة وصلوات تقويّة تُتلى في اليوم التاسع من كانون الاوّل. ولهذا العيد ذكرٌ في تيبكون القديس سابا الناسك الشهير في القرن الخامس للمسيح. امّا السمعاني فيظنّ انّهُ دخل في الكنيسة اليونانية في القرن الثامن فقط. ثم امر الملك مانويل كومنين في القرن الثاني عشر بان يكون من الاعياد الممتازة (راجع مجموع آباء اليونان ج ١٠٤ ص ١٠٧١—١٠٧٢ و ج ١٣٣ ص ٧٤٩) والمقصود من هذه الحفلة بلا شك انّما هو اكرام حبل القديسة حنة بمريم بالبرارة والطهارة اعني نفس المقصود من الكنيسة الغربية باقامة عيد الحبل بلا دنس. وذلك يتّضح من الصلوات المثبتة لذلك اليوم في الميناون وغيره من الكتب الطقسية كما سترى. لا بل يرتأي العلماء الأثبات انّ الكنيسة اللاتينية اخذت هذا العيد من الكنيسة اليونانية لِمَا رأت في الاحتفال بهِ من اللياقة

ودونك الآن بعض نصوص الميناون كما طبعهُ الروم الارثذكس انفسهم :

« قنداق القديسة حنة : اليوم تعيّد المسكونة لحبل حنّة الذي هو من الله. يا حنّة لقد شُرع ان يُنسج من جوفكِ برفيرة ملوكيّة. يا حنّة لقد حملتِ في جوفكِ العطر الذكيّ العرف » (ج ١ ص ٢٧٠) وفيهِ (ص ٢٦٨) : « لتتباشر بايمان بحبل المولودة منهما (يواكيم وحنّة) بجمال الهيئة امّ الهنا . . . . ان السماء الجديدة تُقام في بطن حنّة بالهام الله مبدع الكل ». وكل هذه الأقوال صريحة لا تحتاج الى شرح . واصرح منها قولهُ (ص ٢٦٩) : « استجاب (الله) صلاتهما (يواكيم وحنّة) ومنحهما القديسة التي هي باب الحياة بالحقيقة فلنكرّم الحبل بها المقدّس »

وما ورد في الميناون تراهُ في بقية الكتب الليتورجية . ففي النشيد الذي يُتلى كل يوم لمريم العذراء يقال : « بواجب الاستحقاق حقًّا نغبط والدة الاله الدائمة الطوبى البريّة من سائر العيوب » فان كانت العذراء خُلقت في حالة الخطيئة الاصلية ايصحّ فيها هذا القول ؟ لا لعمري . وكذلك ورد في كاترما الزبور ما حرفهُ : « أنها وحدها بريئة وانّها وحدها بلا عيب ولا دنس وانّها مباركة ». وفي الاودية الخامسة اللحن السابع : « السلام عليكِ يا من ظهرت قبل الخليقة كلّها مصطفاة لله ومنتخبة بجملتكِ بحسنكِ وجمال بيانكِ ». وفي اللحن السابع منهُ : « السلام عليكِ ايتها النقية انَّ الختن قد وجدكِ وحدكِ سوسنة يضيء بين الاشواك من نقاوتك مشرقًا فاتخذكِ عروسًا لهُ ومضيئة بضياء البتولية يا بريئة من كل عيب ». وفي الاودية الرابعة قانون التريادیكوس : « السلام عليكِ يا من وجدها مُبدع كافّة الاشياء نقية وحدها منذ الدهور ولذلك اصطفاكِ هيكلًا طاهرًا لذاتهِ وقطن في احشائكِ معيدًا تجديد الانام »

ومثل هذه الاقوال وغيرها كثير في المعزّي والتيبيكون لو اردنا جمعها

لا تسع بنا المجال. وما يزيدها اعتباراً انها كلها من اقوال آباء الكنيسة اليونانية لا سيما القديسين الاجلاء الذهبي الفم ويوحنا الدمشقي واندراوس الاقريطشي وفي اعمال هؤلاء الآباء وغيرهم ما لا يُحصى عدهُ من الشواهد الدالة الى تبرير العذراء من الخطيئة الجدية نقتصر بذكر بعضها

ورد في خبر استشهاد القديس اندراوس الرسول (مين ج ٢ ص ١٢٢٦) انهُ قال للحاكم: «كما انَّ آدم الاول كُوّن من الارض قبل ان يلعنها الله كذلك كُوّن آدم الثاني من ارض عذراء لم تصبها اللعنة قط». وهذا الكلام موجود بحرفهِ في ليتورجيتي القديس يعقوب والقديس مرقس ولستشهد بهِ القديس عبدا البابلي امام سابور لمَّا اراد قتلهُ

واورد تاودوريطس عن القديس هيبوليتس شهيد القرن الثالث (مين ج ١٠ ص ٨٦٣): انَّ تابوت العهد هو رمز عن الفادي وكما انَّ التابوت اصطُنع من خشب غير قابل للفساد كذلك المسيح من حيث هو انسان كُوّن من خشب لم يعتهُ الفساد اعني من العذراء ومن الروح القدس»

وقد ذكر القديس ديونيسيوس الاسكندري في القرن الثالث ايضاً العذراء مريم في رسالتهِ الى بولس السيمساطي وسمَّاها: «مترلاً لم تصنعهُ الايادي البشرية وابنة الحياة والابنة المباركة من رأسها الى قدميها والفردوس البتولي الحاوي لكنز ثمين»

وقال في القرن الرابع القديس يوحنا فم الذهب في ميمر عيد البشارة (راجع البوق الانجيلي ج ٢ ص ٣٢٤): افرحي يا من طردت الموت الى العمق من حين كانت في احشاء امها... القريبة من اللاهوت الازلي والثالوث العنصري الفائقة على المواكب الشاروبيمية العالية السمو وعلى الصفوف الساروفيمية

وقال القديس اندراوس الاقريطشي في القرن السابع (في ميمرهِ عن

ولادة العذراء) : « لمّا اراد فادي البشر الذي كوّن آدم الاوّل متّخذاً تراباً من ارض عذراء وغير محروسة ان يستبدل هذا التكوين الاوّل بتكوين جديد وخليقة جديدة وبهيّئ لهذه الغاية تجسده اصطفى من كل الطبيعة تلك العذراء الطاهرة الفائقة النقاوة المأخوذة بيننا »

واوضح من هذا ايضاً قول القديس يوحنا الدمشقي في اواخر القرن السابع : « انّ لي قولاً آخر اسمى واعلى شأناً انّ الطبيعة المغلوبة من النعمة وقفت مرتجفةً ولم تجسر ان تدنو . . . فتتقدّم نسل النعمة بل استمرت عقيمةً الى ان اتت النعمة بثمرتها (١ »

هذا ومئات من شواهد أخرى تزيل كلّ ريب في معتقد الكنيسة اليونانيّة بحبل العذراء مريم الطاهر والخالي من كل عيب ودنس . ولو لم يكن لدينا برهان آخر سوى اسم العذراء في اليونانية لكفى فان اليونان لا يدعونها الّا « Παναγία » اي الكلية القداسة . ولا قداسة تامّة حيث ملكت الخطيئة الاصلية

ومن ثم لا عجب ان مكاريوس الثالث البطريرك الانطاكي سلّم للاب يوسف بسون صورة ايمانه في هذه العقيدة سنة ١٦٦٣ فامضاها بخاتمه قائلاً : « انا الفقير مكاريوس بطريرك مدينة الله انطاكية العظمى اقرّ صحّة هذا التعليم الذي اوضحه الاب يوسف بسون اليسوعي عن سيّدتنا مريم الكلية القداسة اعني انّها بريئة وحرّة تماماً من الخطيئة الاصلية كما فسّر عدد وافر من الآباء القديسين ومعلّمي الكنيسة الشرقية الاقدمين »

وهذا المعتقد نفسهُ قد اثبتهُ الاب غاغارين اليسوعي الروسي الكنيسة

---

١) راجع مقالةً مطوّلة في هذا الشأن ردّ فيها حضرة الاب انطون صالحاني في البشير على منشور غبطة بطريرك الروم القسطنطيني في ما يتعلّق بعقيدة الحبل بلا دنس وطبعها على حدة سنة ١٨٩٧

الارثذكسية الروسية بمقالة جمية عدَّد فيها اقوال هذه الكنيسة في حبل البتول الطاهر وطبعها في باريس سنة ١٨٧٦

فمن ذلك موعظتان جليلتان في حبل البتول العذراء البري من الدنس الاصليّ الواحدة للواعظ الروسيّ الارثذكسيّ الشهير لعازر برانوفتش اسقف تشرنكوف في كتاب البوق الانجيلي المطبوع في كياف سنة ١٦٧٤. والاخرى لانطون راديفيلوفسكي رئيس احد اديار كياف الارثذكسية في كتابه «حديقة مريم امّ الله» المطبوع في كياف ايضاً سنة ١٦٧٦. وكلاهما يدافع عن هذه الحقيقة بالفاظ عسجديّة غاية في الرقّة والوضوح لا تبقي ريباً لمرتاب. وكذلك موعظة ثالثة في مولد العذراء مريم ليوانيس غالياتفسكي رئيس اكادمية كياف في القرن السابع عشر يقول فيها (ص ١٧٢): انَّ الخطيئة الاصلية قد دنَّست كلَّ البشر وليس احد نجا منها الَّا العذراء مريم الكلية الطهارة. . . . ولنا يصرخ كل انسان مع صاحب المزامير «بالخطيئة حبلت بي امي» مريم وحدها نجت من هذه اللعنة بنعمة الله ولذلك سلَّم عليها جبرائيل قائلاً: «السلام عليكِ يا ممتلئة نعمة الربّ معكِ»

وهناك شواهد اخرى عديدة اوردها الاب غاغارين من اقوال الكتبة الروسيين وليتورجيتهم لا يسعنا ذكرها لضيق المكان. ومجمل القول انَّ الكنائس الشرقية كلّها دون استثناء تشهد بلسان معلّميها وتقليدها المتواصل وكتبها الطقسية بعقيدة حبل مريم العذراء البري من الخطيئة الاصلية. ونختم مقالنا بما كتبهُ في هذا الشأن صاحب قصص الانبياء المسمَّى بالعرائس تأليف الثعلبيّ (ص ٣٢٧ من طبعة مصر سنة ١٢٩٨): «ما من مولود الَّا والشيطان يمسّهُ حين يولد فيستهلُّ صارخاً من مسّ الشيطان الَّا مريم وابنها»

ميمر مفقود

في نياح والدة الله للقديس اندراوس الاقريطشي

توطئة

اندراوس الاقريطشيّ احد مواطني بلادنا المشاهير ولد في دمشق في عصر القديس يوحنّا الدمشقي. وجاء في السنكسار اليونانيّ انهُ عاش في ايَّام صفرونيوس البطريرك الاورشليميّ المتوفى سنة ٦٣٩ م. ومما لا يُشكّ فيهِ انهُ خدم مدّة الكنيسة الاورشليميّة بصفة رئيس شمامسة وانَّ ثاودورس بطريرك بيت المقدس ارسلهُ الى المجمع السادس الملتئم في القسطنطينية سنة ٦٨٠ فحضرهُ وشارك الآباء في الحكم على البدعة المنوثلية. ثمّ جُعل رئيس اساقفة على اقريطش وتوفي سنة ٧٢٠ م. وهو من ائمة الكتبة اليونانيين كما يظهر من اعمالهِ المثبتة في مجموع الآباء اليونان في المجلد السابع والتسعين من مجموع مين (ص ٧٩٠–١٤٤٤). واعمالهُ هذه الباقية عبارة عن ٢١ ميمراً في موادَّ شتّى ثمّ مقالة في اكرام الصور المقدَّسة. ثمّ فروض طقسيَّة اوّلها طقسٌ خاصّ بحبل القديسة حنّة بالبتول مريم (ص ١٣٠٥) يليهِ طقوس أُخرى عديدة وتسابيح من جملتها قانون التوبة الكبير. وفي آخرها قصيدة يمدح فيها احد معاصريهِ يُدعى اغاثون

هذا وقد امتاز القديس اندراوس الاقريطشي بكتاباتهِ البديعة عن العذراء الطاهرة لهُ فيها ميامر غاية في الحسن منها ثلاثة في وفاة امّ الله (ص ١٠٤٦–١١١٠). الواحد منها وهو الثالث (ص ١٠٩٠–١١١٠) منقول الى العربيّة كان يُتلى سابقًا في كنائس الملكيين ومنهُ في مكتبتنا نسختان. وللقديس نفسهِ ميمر رابع في وفاة البتول جاء ذكرهُ في مقدّمات مين على اعمال القديس اندراوس (ص٧٦٥) حيث ورد انهُ يبتدئ بهذه الالفاظ «οἱ τὴν ἐν πνεύματι θεωρίαν» وهذا الميمر لم يُنشر بالطبع حتّى الآن وقد وجدناهُ معرَّبًا مع الميمر الثالث السابق ذكرهُ في كتابين خطّيين من خزانة كتبنا الشرقية. احدهما حديث العهد كُتب في القرن الثامن عشر لا تاريخ لهُ (ص٤٧١ –٤٨١) والآخر يرتقي الى القرن الخامس عشر (ص ٣٩١–٤٠٤) وكلاهما يتّفق في الترجمة لا خلاف بينهما الّا في بعض الفاظ قليلة. ومن قرأ هذا الميمر تحقق انهُ معرَّب عن الاصل اليوناني لِما يشمّ في تعريبهِ من رائحة التراكيب اليونانية. ولعلَّ المعرّب هو عبد الله بن الفضل الانطاكي كما هو مصرَّح باسمهِ في صدر احد ميامر المجموع الثاني

(ص٥٧). ولمّا كان هذا الاثر من اجلّ آثار النصرانية القديمة انتهزنا الفرصة لنشر احسن مقاطيعهِ بحرفها دون اصلاح عربيتهِ بنسبة عيد يوبيل الحبل الطاهر. وفي نيّتنا ان ننشرهُ تماماً مع ذكر روايات النسختين وترجمتهِ الفرنسويّة وتذييلهِ بالحواشي لافادة المستشرقين قريباً ان شاء الله

الاب ي. ل. اليسوعي

ميمر في نياح والدة الاله

لابينا الجليل في القديسين اندراوس الاقريطشي رئيس شمامسة اورشليم وراس اساقفة اقريطش ومؤلف قانون التوبة الكبير قولًا (كذا) امتدح بهِ رقود الكلي قدسها العالي على كل شرف بجدها الدائمة بتوليتها الباقية بعد الولادة عذرتها سيدتنا مريم والدة الاله في الخامس عشر من شهر آب يوم رقودها

يا معشر المؤثرين ان يستشرقوا بنور منظر علم الروح الذي لا هيولي لهُ والزائد الصفاء ضوءا للمعرفة الغير المضلّة ويا جميع المرشدين بتعاليم اسرار الروح الى اعتقادات مناظر اللاهوت العالية تعليماً نطقياً. أقبلوا بنا لنتجرّد معاً من كل الاشفاق على العالم الارضي والهيولي ولنمتزج بجملة الروح امتزاجاً سريّاً متسارعين معاً الى الوليمة العقلية والكثيرة الضياء التي لوالدة الإله بعد ان نكون اولًا قد تخلّصنا من غمام الآلام الارضي والقتام العالمي ولابسين ضوء الاشراق المنحدر من فوق من عند ابي الانوار لاننا نكون مبتهجين ابتهاجاً سالفاً بعلم وعملٍ ولامعين من كل جهةٍ بحسن الفضائل والمسيح الشارق نفسه من شمس الآب بلا ابتداء ولا زوال مثل شعاع الشمس من نورهِ موثرًا ان يدعونا الى عندهِ اذا التمسنا دعوةً سريّةً ويوضح هذا بيانًا تمّا صنعهُ بوالدتهِ بحسب البشرة التي انحدر اليها من فوق من صقع الشرق الذي يفوق العالم وغاص في طبيعتنا وها هو اليوم ينقلها من اصقاع الارض بما انها ملكة كل طبيعة الناس...

(ثم يشبه القديس حفلة السر الذي يحتفل بهِ بمائدة روحية يدعو اليها المؤمنين بتفسيرهِ

لهم فيُشبع جا نفوسهم. ويقول انهُ يستند في روايتهِ عن ذكر رقود العذراء على ديونيسيوس الاريوباجيتي تلميذ بولس الرسول وعلى ايروتاوس في رسالتهِ الى تيموتاوس تلميذ بولس ايضاً ويذكر عنهما تفاصيل وفاة البتول بحضور الرسل فيقول ايروتاوس :)

لمَّا التأمنا نحن كما تعلم وهم وكثيرون من اخوتنا الجليليّين لمعاينة جسد عنصر الحياة وقابل اللاهوت . وكان حاضراً يعقوب اخي (كذا) الاله وبطرس غاية المتكلمين في اللاهوت ورأسهم واكرمهم ثم ان رؤساء الكهنة كلهم بعد ان سبحوا خيرية عنصر اللاهوت التي لا تستقصى قدرتها كل واحد منهم حسب طاقتهِ فكان هو زمام الجماعة مع ناطقين اللاهوت . . .

(ثم يتسع في ذكر العجائب التي جرت ليمكن الرُسل والتلاميذ ان يحضروا من اقاصي العالم ثم يقول :)

لكن هلموا بنا نبصر ما هي العناية وما هو قدر بهاء اللاهوت المطرب ان كان ذلك يكون ممكناً بان يُرى باعينٍ عقليّة. فكان اذاً مشهداً كامل الجمال لغزارة اشراق النور الـذي ظهر في ذلك الوقت من ذاك المسكن البتولي المغبوط من الله الذي كان على النعش طريحاً يحيل أبصار الناظرين الى عدم ابصارٍ موعزاً ان يعلي ما تمجَّد بهِ ويُنهي بهِ اعلى الأبواب السماوية اعني جسد والدة الاله ذو (كذا) الثلثة الاذرع والاربعة الجوانب الطاهر البريء من الدنس. اناء البتولية الفائق الظلافة (كذا). المسكن الذي وسع تنازل كلمة الله كلها. الآلة العذرانية إناء الروح. التمثال المضاهي الاله. تاج الملك الذي لم تنظمهُ يد. ملكة كل الطبيعة الانسية. مقدَّمة الجبلة الآدمية التي ألهت. صنع (ويُروى: صيغ) الحلة العقلية التي لا تُسمى. الهيولي التي للتجسد الالاهي الكلي نظامها. المسكن الكلي جمالهُ الذي للكلمة الصانع الكلّ. السرور الذي للعالم اجمع. وكنز الآمال المكتومة. سماء من جبل الارض سماء للفائقة العلو. الطينة التي لصانع الكل والخالق الحاذق. المفضلة بالإختلاق المشابه في كل انواعهِ الصورة الالهية. دكّان (ويروى مكان) المقايضات الالهية المرهوب. فيا لها

من اعينٍ مغبوطة حقًّا التي ابصرت هذه الاشياء. والشفوات التي مدحتها.
ويا لها من لسانٍ وصوت جليلين علّما هذه الاشياء. ونطقا بها . . .

(وبعد هذا يتسع ابروتاوس ذاكرًا عجزه في وصف محاسن البتول عند وفاتها. ثم يردف قائلًا :)

وحينئذٍ قامت الصلاة العقلية محيطةً بالنعش احاطةً لا تُرى وكما اظنّ ان نفوس القديسين كانت معهم حاضرة التي يذكرها مصحف التسابيح وسيما عذارى بعلمٍ سرّي مطرقات لشخوصها وزافّات اياها ومودعات الى مذبح الله فلذلك صار بواجبٍ مقدمة مصطفين الرسل سكارى من الروح الالهي وبسكر الفرح السري نقلوا عقولهم الى الذهول فبدأوا من هيهنا بتلك التسابيح الالهية واحدًا فواحدًا يستبدلون بعضهم لبعض بتناوب قايلين : « قد رحل عسكر الله من مظلات قيذار الى المظلات الغير الهيولية وللحياة معيدةً وتسلمت المظلة الناموسية التي هي اصل الرسم للتابوت الفائقة الزينة التي رسمها الناموس. وارتفع ستر الهيكل والستر الذي فوق الابواب العلوية ليحتضن باب الاله والملكة التي تملوعلوا ممالك السموات احتضانًا ملوكيًا. ايها الملائكة اقبلوها لابسين بياضًا ويا كافة الناس امدحوها واستعلوا مدينة الله الملك الكبير التي تكلم عنها في كل موضع بمجيدات. ايتها الامهات والعواتق مجدوا التي هي وحدها امًا وبتولًا. ويا صبايا ويا عرائس تقدموا ممّن هي بريّة من التعريس بين الصبايا والنقية من الافتضاض التي حبلت بما لا يُدرك وحدها. ويا عذارى ارقصوا مرتلات للحمل البتولي. يا والدات ويا امهات جولوا مودعات عدم افتضاض صانعًا ولدًا (كذا). ايها الامم امدحوا ويا جميع الالسن اطربوا هللوا يا جميع قبائل الارض لوالدة الاله ابتدوا بالتسابيح وبالصنوج هللوا عظموا مجدوا رتلوا. يا مريم ارفعي الدف واخرجي قدّام العذارى واسبقي. يا داود تناول القيثارة واعلن صوتك وامدح

الملكة. ارقص ازفن اقرع القيثارة استدعِ العواتق واجمع خلق المغنيين ورتب الصفوف وليحاضروا (كذا) حول السرير وليتبعوا خلف السرير وليجولوا حول المقبرة قايلين: ها تابوت مجد الله الجديدة التي فيها الجرة التي كلها ذهب وعصا هرون التي افرعت ولوحي العهد. ها صدر الكتب التي عنها كانت تهتف اوحية الانبياء.. ها السلّم التي رآها يعقوب رئيس الآباء التي شاهد عليها الملائكة نازلين وصاعدين. هذه هي باب السماء التي قال عنها ذاك: ان هذا الموضع لمهول وليس هذا الّا بيت الله وهذا باب السماء.. ها العرش العالي المتسامي الذي عليهِ رب الجنود جالس حسبما اعلن اشعيا الاوفر من الانبياء نظرًا بالروح. ها مذبح الاستغفار الذي في قدس الأقداس المظلّة السريّة التي لله والموضع الذي لا يُدخل. فهو وقتًا ما مظللًا بالاجنحة الساروفيمية وحينًا ما باستشراق يسوع عليهِ يكون مغتفرًا لخطايانا... ها ينبوع البقاء الذي ينقص فهلموا يا موتى بالخطايا فاستنزفوا. ها عيون عدم الاقتضاض الذي لا المَ لهُ فتعالوا يا ذوي الآلام فاستقوا. ها انهار الحيوة الدائم جريها فتعالوا اجمعين فاعدموا الموت. فيا ابنة آدم ويا والدة الاله ويا امًا لا رجل لها ويا بتولًا والدة ابنًا ويا صنعة الذي اصطُنع فيكِ اصطناع زمانيّ ولم يزُل من خاصيتهِ الازلية. ايتها الهيكل الالهية والانسانة الترابية ويا اسطوانة مائتة ويا عمودًا محييًا لا مرشدًا اسرائيل الجسداني اذ كان هاربًا بل منيرًا بلا ضلال لاسرائيل الروحاني الى نور المعرفة الالهية. ويا سحابة منيرة ويا جبلًا لا مظللًا شعب اليهود الذي لا حفاظ لهُ بل لشعب الله المصطفى وللأُمّةِ المقدسة. عنكِ سبق كل الانبياء فاكرزوا. موسى اولًا لمّا رآكِ دعاكِ عوسجة فقال: لاعبرنّ وابصرنّ ما هو هذا المنظر العظيم العجيب. عنكِ كان يستعطف المسيح داود جدّ الالهِ قائلًا: قم يا رب الى راحتك انت وتابوت قدسك. عنكِ ايضًا هو نفسهُ سابقًا ممثلًا شخوصكِ تقدّم فرتل قائلًا: اغنياء الشعب

يستنيرون وجهكِ. وزعم كل مجد ابنة الملك باطناً. عنكِ سبق اشعيا النبي فهتف قائلاً: العذراء تحبل وتلد ابناً ويُدعى اسمهُ عمانوئيل. عنكِ سبق رُجل الشهوات دانيال العظيم فدعاكِ جبلاً كبيراً وعظيماً قد قُطع منهُ حجرٌ منحوتٌ بغير ايدي بشريّة لا مأخوذاً مقطوعاً لكن ليس مفصولاً. عنكِ تنبأ حزقيال لمّا رآكِ باباً فقال: هذا باباً مقفلاً نحو المشارق وليس يدخل فيه احدٌ الّا الربّ إله اسرائيل يدخلُ وحدهُ ويخرُج ويكون الباب مقفلاً. عنكِ قال اشعيا ايضاً: سيخرج قضيب من اصل يسّى ويكون اصل يسّى آية الامم عنكِ سبق مصحف التسابيح فرمز رمزاً اكتم سراً فقال: من هي هذه الصاعدة من البريّة مبخّرة بدخنة اغصان العود والمرّ واللبان ومن كل طيوب العطّار. وقال ايضاً: ها سرير سليمان حولهُ ستون من الاقوياء من اشداء اسرائيل. وقال ايضاً: ان سليمان عمل لهُ عمارية (كذا) فصنع اعمدتها فضة ومتّكأها وفرشها برفير وباطنها مرصع بالجوهر. انتِ جبل صهيون الجبل السمين الجبل المجبن الذي سرّ الاله ان يسكنهُ... انتِ الصحيفة التي كتبها الله التي كُتبت فيكِ الكلمة الالهية بغير نطق... انتِ هي مركبة الله التي ربواتها مضاعفة. اذ قدمتِ لهُ لمّا تجسد الوفاً مخصبين. انتِ سفط الطيب الجديد الذي للطيب الذي لا ينقص. انتِ بهجة زيت الادهان. انتِ دخنة الطيوب العقليّة. انتِ العرش العالي وباب سماء السماوات الشاهق الذي على المشارق وزهر فقد الافتضاض وجنّة التحن وينبوع الخلاص والمنارة المناوعة الضياء والمائدة المشابهة الشماع. والمنطقة المائلة الذهب والارض الحاملة الطيب والتابوت الحامل الاله. باي ايادي نكفّنكِ باي سواعد نحملكِ يا من حملتِ من لا يُطاق ولا يسعهُ شيء. وما هي اكفانكِ وما هي الاقماط وما هي الحلل وباي شغوفات نمدح شخوصكِ واي صلاة نعمل عليكِ مرثيةً على رمسكِ وباي طيوبٍ نطيب جسدكِ الطيب النسيم الطاهر المملو قدساً النابع صفحاً

الفائق عدم البلى الحاوي البقاء الفائض نبع الشفاء منكِ المتأله الذي فيهِ الكمال وبهِ الخلاص

فلذلك عن كل شيء نقرب لكِ هذه الكلمات : مغبوطة انتِ في النساء وفي جيل الاجيال . مباركة انتِ في السماوات ممجدة في الارض لانكِ انتِ لمَّا كنَّا مشتتين عن الله صالحتِ بيننا . بكِ اضمحلَّت علَّة الخطيئة وبطلت قضية الموت وحالت لعنة الجدّ الى فرحٍ . فالكل يسبحون لكِ معنا قائلين : المجد لله في السموات وعلى الارض السلامة وفي الناس المسرَّة . فانطلقي بسلام انطلقي استعظمي وفوق الخنوخ استعلي واعلى من ايليا تراقي . هناك حيث الخير الذي لا يعوزهُ شيء . حيث انهار استنباع النور الدائم البقاء واودية النعيم التي لا تنقطع وفراديس البقاء حيث لحن المعيّدين واصوات المبتهجين وترتيل الملائكة المقرَّبين الذي لا ينقضي . ومع هذا تنعمي بجمال ابنكِ وابتهجي بالفرح الذي لا ينتقص بالغبطة التي لا توصف حيث الموضع الذي لا شيء يفوقهُ في المعقولات ولا في المحسوسات ولا في شيء . من التي كانت او تكون او صارت او يمكن ان تعقل

فتسلّم ايها الحبيب قوَّة السرّ وان يكن ناقصهُ عن الاستحقاق كثيرًا لكنهُ ليس بناقص عن نشاطنا لكنك ستطاب وَمن ذاك الذي من اجلك انسكب وتنازل الى القرار ليرفعك . ولأقول ما هو اعظم من هذا (الذي) تأنس ليصنعك الاهًا بالروح ويعطي الادنى الافضلَ كي من الجهتين تصنع التصاعد في قلبك اعني من علم وعمل لتكون كاملًا وثابتًا حتى تبلغ الى قدّ رجل كامل وتامّ الى قدّ سِن كمال المسيح الذي لهُ المجد والعزة مع ابيهِ وروح قدسهِ الآن ودائمًا والى اباد الدهور كلها امين

العذراء مريم في الشعر العربيّ

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

انَّ علو مقام العذراء مريم عليها اشرف سلام في فلك الكنيسة ومناقبها الفريدة وفضائلها السامية لمَّا شحذ قرائح الشعراء في كل زمان بين الامم النصرانية فلا ترى شعبًا افتخر بنوابغهِ الَّا ذكر عنهم قصائد رنَّانة جادت بها فكرتهم الوقَّادة في مديح تلك التى تدعوها الكنيسة «سلطانة السماوات والارض». وما الصلوات الطقسيَّة والفرائض الكنسيَّة في كل الطوائف المسيحية في الغالب سوى منظومات رائقة واناشيد شعريَّة بليغة المعاني رقيقة النظم شريفة الالفاظ انشدها آباء الكنيسة اليونانية والسريانية واللاتينية فجاءت من ابدع الآثار العقلية التي يجد فيها الادباء مناهل صافية يستقون منها المعاني المبتكرة والتعابير المنسجمة فضلًا عمَّا يلقاهُ المتعبدون من الغذاء الجوهريّ لترقية ارواحهم وخلاص نفوسهم

ولا يُستثنى الشعر العربيّ من هذا الحكم منذ النهضة الادبية التي ظهرت في بلادنا في اواخر القرن السابع عشر. امَّا القرون السابقة فلا تجد لها في السيّدة مريم الأشعارًا نادرًا وذلك لاسباب منها انَّ الرُّتب الدينية لم تُقَم قبل ذاك العهد باللغة العربية اللهمَّ الَّا في كنائس قليلة للملكيين فلم يجد النصارى داعيًا لنظم القصائد الدينية في هذه اللغة. ومنها ايضًا ان الشعراء النصارى الذين سبقوا القرن السابع عشر ضاعت دواوينهم في الغالب او لم يبلغنا من اقوالهم الَّا بعض المتفرّقات التي لا تتجاوز مضامينها معاني شعراء زمانهم من مدح شريف ورثاء كريم ووصف موصوفٍ حسن او زهد في

دنيا وغير ذلك من المقاصد الادبية. امّا المنظومات الدينية فلم يجد الرواة فائدة في ذكرها. الى غير ذلك من الاسباب التي يطول هنا شرحها

على أننا اذا بحثنا عن تلك الآثار وقفنا على بعض المنظومات التي تنبيء بتعبّد الشعراء للبتول الطاهرة. واقدم شعر ورد فيهِ اسم مريم العذراء انّما هو بيت لشاعر جاهليّ يُدعى عمرو بن عبد الحقّ ذكر فيهِ اسم المسيح ووالدتهِ عليهما السلام:

وما قدّس الرهبانُ في كل بيعةٍ ... ابيلُ الابيلينَ المسيحُ بن مريما

ويُروى « ابيلُ الابيليّين عيسى بن مريما ». قالوا ومعنى الابيل رئيس النصارى. وقالوا هو الراهب. وهذا اصحّ لانّ الكلمة سريانية « ܐܒܝܠܐ » معناها الزاهد والمتنسك. فجعل الشاعر المسيحَ كبير النسّاك ومثالهم العظيم

وممّا نجدهُ من بعد ذلك في مجاميع مخطوطة قديمة من القرن الخامس عشر والسادس عشر اناشيد روحية واغاني تقويّة بالشعر العامي كان النصارى يتداولونها ويتغنّون بها في كنائسهم وفي بيوتهم وكانوا ينظمونها زجليّات على اوزان موسيقية عربية او يتخذون لها الحانًا مشهورة او يترنّمون بها على طريقة ما يدعونهُ بالمعنّى. وفي مكتبتنا الشرقية عدّة مجاميع من هذا الصنف البعض منها بالخطّ العربيّ والبعض بالكرشونيّ لا يُذكر مصنفوها غالبًا. وهذا مثال اقتطفناهُ منها وهو في اصول صرفيان:

باشرتُ قولا قومْ عذّالْ ... في حبّ من لا لها مثالْ

قالوا تسلَّا قلتُ محالْ ... والصبر ولّى عن صبابتي

كم في حماكِ مثلي جريحْ ... يرجو لقاكِ يا ام المسيحْ

مضنى بجواكِ نحوكِ يصيحْ ... مريم عساكِ نحوهُ تلتفتي

عاين سناها موسى الكليمْ ... نارًا اتاها نورٌ وسيمْ

فهي اصطفاها مولى عظيمْ ... امَّا اغناها بالمحبّةِ

فاعجب لبكرٍ طهرًا سمتْ إدراكَ فكرٍ يوماً علتْ
شرفاً لخدرٍ حتّى غدتْ تسمو بقدرٍ كلَّ عظمةٍ

وممَّن اشتهروا في هذه الزجليَّات في القرن الخامس عشر جبرائيل الاسقف الماروني الفرنسيسي المعروف بابن القلاعي من لحفد المتوفى سنة ١٥١٦. لهُ مدائح متعددة في والدة الاله منها واحدة طويلة في مولدها العجيب بعد عقر ابويها وبشارة الملك لها بمريم وحبل القديسة حنَّة بها بريئة من الخطيئة الاصلية ولولا طولها لكنَّا اثبتناها. وامتاز بها شاعر ملكي يُدعى ميخائيل بن حاتم لدينا شيء من مدائحهِ في العذراء، ولم نعرف من تفاصيل حياتهِ شيئاً (راجع المشرق ٥ : ٤٦٧). وقد عُرف ايضاً احد السريان الكاثوليك كان اسمهُ ضعفي كرنوك حُمَيلي من آمد ثمَّ سُقِّف على ماردين باسم طيموتاوس ورحل الى اوربَّة وصنَّف عدَّة كُتب منها كتاب كلُّهُ زجليَّات ومدائح تقويَّة طبعت في بادوا في ايطالية سنة ١٦٩٣ بالعربية والايطالية. واكثرها في العذراء مريم كقوله من مديحةٍ في مقام الرست :

باسمك يا بتول مريمْ نظمتُ ذا المديحْ لانَّ فيكِ صار خلاص آدمْ
واقتنيهِ من الضريحْ لهذا جميع العالمْ اتيكِ يزعق ويصيحْ
ايا طهر الطهاره ويا تاج العذاره انتِ شفيعة للنصاره يا ام المسيحْ

الآب من اعلى السما اصطفاكِ يا مريما والابن منكِ تجسَّما لخلاص العالما
وروح القدس زادكِ اكرامْ في كل الاعصار
انتِ نصري وغاية فخري وفيكِ فكري يا الكنز الفاخر هللويا

وكذلك يفتخر الكلدان بمداريش القس خدر الذي عاش في القرن الثامن عشر. وفي مجاميع كل هؤلاء اشياء كثيرة تدلُّ على رقَّة وحسن ذوق وتقى يجد المؤرخ فيها شواهد ساطعة على اعتصام الكنائس الشرقية بحبل العذراء الطاهرة

*

ومن الآثار المريمية التي سبقت النهضة الادبية ما صنَّفهُ احد شعراء الروم الملكيين اسمهُ سليمان بن حسن الغزّي كان مطرانًا على غزَّة في القرن الرابع عشر او قبلهُ لكنَّنا لم نقف على تاريخهِ بضبط. ولهُ ديوان شعر كلّهُ قصائد دينية حسنة وشعرهُ جيّد مع ما فيهِ من الابيات غير الموزونة. وفي مكتبتنا الشرقية منهُ خمس نسخٍ مختلفة الواحدة منها كُتبت في القرن الخامس عشر بل قبلًا كما يظهر من خطّها وورقها. وقد وجدنا لمؤلف هذا الديوان في مخطوطٍ يحفظهُ حضرة الاب قسطنطين باشا تاريخهُ سنة ١٦٩٠ م مقالةً مسجَّعة عن الايمان عنوانها « برهان الامانة ». وفي ديوانهِ جملة قصائد عن البتول الطاهرة وابنها نختار منها ما يلي. قال في بشارة العذراء:

ألا شرفٌ لمريم في العذارى وفخرٌ في جميع الاصفياء
ومن ذا خصَّ غيركِ بالبتولهْ هُنيتِ بما خصصت من العلاء
اتاها بالبشارة جبرئيلُ ملاك السرّ في حُلل البهاء
فقال لها السلام فلا تُراعي مباركةٌ تكوني في النساء
بحقّ تقبلين الآن حبلًا بفاروق عظيم الكبرياء
يكون لهُ على يعقوب ملكٌ الى دهر الدهور بلا فناء
فقالت للملاك وكيف هذا وما بشر تقرب من ردائي
فقال عليكِ روح الله يأتي وقوَّتهُ تحلُّ من العلاء
ومَن تلدين فالقدوسَ يدعى وابن الله يُسمى في الملاء
فقالت انني أَمَةٌ لربّي فأقبلُ ما اتيتَ بلا إباء
فصدَّقتِ البشارة بابتهاج وتمَّ بذاك قول الانبياء
ولم يخصص بهذا الامر الّا لمريم وهي انقى الانقياء
ففخر آل داوُود (كذا) وفخرٌ بام النور والدة الضياء
فانَّ لكم بها في الارض مجدًا وما بين الملائك في السماء
اليس الخلق كان بجم سقامٌ فاضحت مريمٌ سببَ الشفاء
اتتهم بالخلاص فانقذتهم بذاك من الخطيئة والبلاء
وكان لآدمٍ من قبلُ وعد فمَنْ على يديها بالوفاء
ألا في ذكرها ابدًا سلامٌ جديدٌ في الصباح وفي المساء

تولّاها وليٌّ وهو يرجو شفاعتها غدًا عند القضاء

وقال ايضاً فيها من قصيدة طويلة:

بمريمَ أمّ خلاص البشرْ صفا آدم بعد طول الكدرْ
لإطلاق اسرى جميع الشعوب من الموت في ابنها والضررْ
فيا لكِ من ولدٍ اوجبتْ لآدم جبرة ما إنكسرْ
جا تمّ ما اثبت الانبيا وما قيل من اجلها في السيرْ
جميلةُ وجهٍ كشمس الضحا واشرقُ من ضوءِ وجهِ القمرْ
وصورتها في جميع الورى تفوق صفاءً جميع الصورْ
تكفّلها زكريّا النبي وكان بنذر ابيها أمرْ
وموضعهُ عندهُ لم يزل عظيم المحلّ شديد الخطرْ
يدلُّ على حلمها صبرُها عن الآب والام عند الصغرْ
نشت في كرامةِ قُدس الإله ومن خلف استارهِ تستترْ

ثم ذكر زواجها بالقديس يوسف الى ان قال في بشارة الملاك اليها:

وشخص الملاك تراءى لها فارعبها وجههُ اذ بدرْ
وقال لها أبشري أبشري فانك حبلى بإبن البشرْ
فقالت لجبريلَ من اين لي ولادٌ ولم يدنُ مني ذكرْ
فقال لها روح قدس العلي تُظلّلكِ مثل ظلال الشجرْ
ويولد منكِ رجاء الشعوب كما قالت الانبيا والنُّذُرْ

وقال في الختام:

ومن بطن مريم نلنا الحياةَ وإنهزم الموتُ منّا وفرْ
وصارت ذخيرتنا في المعاد الى فوز إنعامهِ المذخَرْ
لقد رحم الله انسانهُ ومنهُ اليهِ اعاد النظرْ
ظفرنا برفعة ملك السماء ولولاكِ ما صحّ فينا ظفرْ
فطوباكِ طوباكِ يا من جبا تجدّد ما كان منّا دثرْ
فطوبى لمستشفع في الصلا ة باسمك عند البكا والسهرْ
فإستغفروا ذنب مَن قالها ولم يتهِ قولهُ فاختصرْ

*

فلمّا كان النصف الثاني من القرن السابع عشر هبَّ بين نصارى سوريّة

روح جديد حملهم على اتقان الدروس العربيَّة وذلك اوَّل تلك النهضة العجيبة التي نجتني من اثارها الجنيَّة حتى يومنا هذا. وكان ابتداؤها في حلب الشهباء. ولجبرائيل بن فرحات فضل سابق في هذا المضمار كما تشهد عليهِ اعمالهُ التي وصفها حضرة الاب الفاضل القس جرجس منش في العدد الاخير من المشرق. ولهُ الديوان الشهير الذي يغني اسمهُ عن وصفهِ وقد ضمَّنهُ طيَّب الله ضريحهُ في مديح العذراء مريم قصائد وشذرات لا تقلّ عن ربع المجموع ولشهرة هذا الديوان لا ننقل منهُ الَّا ابياتًا قليلة تنويهًا بفضلهِ فمن ذلك قولهُ في براءة العذراء من الخطيئة الاصلية:

سموتِ يا بتولةُ في العذارى | على كل الانام عُلًى ونُعتِ
خُلقتِ دُرَّةً لا عيبَ فيها | كانكِ مثلما شئتِ خُلقتِ

وقال في المعنى من قصيدةٍ واجاد:

أجيدي المدحَ ناطقتي اجيدي | لمريمَ إنَّما بحرُ الحُنُوِّ
إلهٌ خصَّها دونَ البرايا | ورقَّاها الى أوجِ السُّموِّ
دعاها امَّهُ والامُّ بكرٌ | فيا فهٌ من هذا العلوِّ
اتى منها المَّا حلَّ قدرًا | فيا حلَّ في برج القُصُوِّ
براها ثُمَّ براها وأبرا | نقاها التَّامَ من أسرِ العدُوِّ
فأولدها لهُ أمًّا وبكرًا | بناسُوتٍ عليٍّ في العُلُوِّ
هيَ ابنَةُ آدمَ الانسان لكن | متى قد كان في حال السُّمُوِّ
ولم تعرف خطاء الجد اصلًا | وهذا القُدسُ من ذاكَ الخُلُوِّ
دنا منها إلهٌ حلَّ فيها | وهذا الطُّهرُ من ذاكَ الدُّنُوِّ
بمولدِها اطمأنَّ الخَلقُ طُرًّا | ومَن بالسجنِ حسُّوا بالهُدُوِّ
فإني يا بتولةُ في العذارى | نَجيُّكِ في الرَّواحِ وفي الغُدُوِّ

ولهُ في قلب مريم الطاهر:

يا قلبَ مريمَ بابن الله منطبعًا | اكرِم بقلبٍ بنارِ الحُبِّ مطبوعِ
فأثَّرت فيهِ بالمنى فضائلُهُ | فألَّفت بين مرئيٍّ ومسموعِ

ولهُ ميميَّتهُ الشهيرة التي ضمَّنها كل معنى شريف يقول فيها:

لو كانَ للأفلاكِ نطقٌ او فمٌ　　لترنَّموا في مدحِكِ يا مريمُ
أنتِ التي وردَ الالهُ مؤنَّساً　　منها وفيها شأنها يتعظَّمُ
وبروحِ قُدْسٍ حازَ منها جسمَهُ　　مُتَقَدِّساً وبقدسِهِ يتجسَّمُ
فبأيِ مقدارٍ أشبِّهُ عظمَها　　حتَّى يُشَبِّهَها الإلهُ الاعظمُ
إنْ قلتُ شمساً فالكسوف يَعيبها　　امَّا جمالها فكلَّ يومٍ يعظُمُ
أو قلتُ بدراً فالخسوف يشينهُ　　امَّا سناكِ فكلَّ يومٍ يُضرَمُ
أو قلتُ كاروبيم عرشِ إلهنا　　فسموُّهم بسموِّ شأنكِ يعصَمُ
او قلتُ ساروفيم طغمات السما　　لو لا وَليدُكِ ما سموا وتعظَّموا
أو قلتُ طغمات الملائكِ كلِّهم　　لكنْ سناهم مع جمالكِ يظلمُ
لسنا نرى شبهاً يوازي حسنها　　الَّا ابنها ذاكَ الالهُ الاعظمُ
لا غروَ أنَّ الابنَ يُشبهُ امهُ　　إنْ اشبهَ الابنُ أمهُ لا يظلمُ

وقد اشتهر في عصر فرحات احد مواطنيهِ وجاراهُ بالفضل والفضيلة بعد ان تتلمذ لهُ وتعقَّب آثارهُ نريد الخوري نيقولاوس الصائغ الذي نشرنا ترجمتهُ في احد اعداد سنتنا المنصرمة (ص ٩٧—١١١). ولهُ ايضاً في ديوانهِ الذي يتداولهُ الناس اقوال جمة في السيدة الطاهرة. منها قولهُ من قصيدة:

يا نور عرش اله انت صفوتهُ　　وخيرَ خلقٍ يرجى نيلُ جدواكِ
كأنَّ مرآكِ مرآةُ الالهِ ترى　　أسنى بجوهرهِ في حسنِ مرآكِ
لن تنتهي قدرة الله العظيمِ ولكنْ انتهت مذ نحت إبداعَ معناكِ
ان كان يَلِدُ ابنُ الله ثانيةً　　يُرى شبيهكِ بل حاشاكِ حاشاكِ

ولهُ في وردية العذراء واسرارها الخمسة عشر:

وردية العذراء امّ الله قد　　جاءت بخمسة عشرَ سرّاً فائقا
فرحٌ وحزنٌ ثم مجدٌ كلُّ سرٍّ　　يحتوي معنىً اكيداً صادقا
فتعبَّدنْ بها لمريمَ تحظَ بآل　　غفران إمَّا كنتَ فيها واثقا
واطلبْ شفاعتها وقدِّمِ لابنها　　بعد انسحاق الروح قلباً وامقا

ومنها ايضاً موشحةٌ وهاك دورهُ الاوَّل:

انني اشكو فواجي الألمِ　　لم يعُدْ لي من تجلّدْ

زجَّ بي جهلي بقاعِ النَّدَمِ   والنُّهى مني شُرَّدْ
رَشَقَتْني شهوتي باسهمٍ   أورثَتْ قلبي لَدَدْ
غيرَ اني ارتجي في مريمٍ   صفوةِ اللهِ الاحدْ
خَصَّها اللهُ بأسنى النِّعَمِ   عَنْدَ ما منها وَرَدْ

ومَنْ اشتهروا ايضاً في حلب على عهد الطيب الاثر جرمانوس فرحات ومدحوهُ بشعرهم وتبعهم نعمة ابن الخوري توما الشاعر الحلبي الملكي الكاثوليكي الذي اثبت حضرة الفاضل الاديب القس جرجس منش ترجمتهُ في المشرق (٥ : ٣٩٦) . وفي خزانة مكتبتنا الشرقية نسخة من ديوانهِ ترى فيها قصائد عديدة شائقة في مدح ام النور ورد فيها ذكر حبلها الطاهر بلا دنس . ومما قالهُ في قصيدة طويلة انشدها في صيدنايا :

اكرم بها اماً وهي بكرٌ وقد   دانت لها الابكارُ في المشاهدِ
ستِ الملائك والانام قداسةً   فالكلُّ وافوها بجبهة ساجدِ
جلَّت عن الاوصاف اذ فاقت على   نعتِ البليغ ودرِّ نظم الناشدِ
بل ليس يوجد في الوجود لوصفها   كفوٌ سوى الابن الوحيدِ الواحدِ
منهُ عليها لا يزال سلامهُ   مترادفاً بتواترٍ وتواردِ

ولهُ ايضاً يشكر فضل البتول مضمّناً :

تالله اني عن مديحكِ لم أَحُلْ   وهواجسي قد ردَّدتهُ بفكرها
يا من خُلقتِ بريئةً من وصمة   في بدء كونك بالحياة بأسرها
فبفضلك نلنا الخلاص ولم نكن   لولاك الأ في الذنوب ووزرها
فلكِ ثناء المدح ما اسبغتِ من   نعمائكِ الفضلى باوفى وفرها
والشكر ما جأت صفاتك في الورى   عن ان يُقاهَ بحمدها وبشكرها
فلأشكرَنكِ ما حييتُ وان امتْ   فلتشكرَنكِ اعظمي في قبرها

ولهُ عدَّة قصائد يستنجد بالبتول ويطلب شفاعتها كقولهِ :

في يديكِ امَّ ربّي   انني سلمتُ روحي
فانقذيني من ذنوبٍ   صرتُ فيها كالجريحِ
رحتُ فيها متهاماً   مائلاً مع كلِّ ريحِ

فقـدا قلبي مجروحـاً في مجروح في مجروحِ
يـا لقومي مَن مجيري من قضا العدلِ الصريحِ
ليس لي الآكِ ملجـا ارتجيـهِ في قروحي
جئتُ ارجو منكِ عفوًا مستجابـاً من مسيحِ
فاقبليني عبـد رقٍ واقبلي مني مـديحي

وفي هذا الزمن عينهِ اشتهر في الشهبا. شاعر آخر من طائفة الملكيين الكاثوليك ممَّن دافعوا عن ايمانهم لمـاً اثار البطريرك الدخيل سلبسترس الاضطهاد على الكاثوليك. نريد ابراهيم الحكيم الحلبيَّ الشاعر المطبوع من اسرةٍ شريفة لا تزال حتَّى اليوم معروفة بفضلها . ولدينا منهُ خبر رحلتهِ الى مصر في اواسط القرن الثامن عشر سننشرهُ قريباً في المشرق ان شاء الله .

وممَّا ختم بهِ روايتهُ ابياتٌ قالها متغزّلاً في مديح مريم البتول :

ترى لي عجيبٌ ان تَقُلْ مريمٌ لِمَا ترى ذا الونى حتى يقولَ لما لما
لإفراط ما فيهِ من السقم والضنا ومن رعيهِ طول الدياجي السُّها سَها
لقد ضرَّهُ ثقلُ الذنوب مع الونى ولم يُصغِ سمعاً حين رب النُّهى نَها
وقد أثقلَ الدَّاء العضال اضالعي وعظمي ولو لم يأتني برؤها وهى
لقد عفتُ كلَّ الحبِّ من دون حبها فكل ودادٍ ما عدا ودَّها دَها
فحتَّامَ ارجو في الانامِ مودةً وقد زادَ وجدي دون احبابها بها
فنالوا البهـا واملكوا العزَّ والعزا فمن كان منسوباً الى عزّها زَها
لقد جُمعت فيها المحاسنُ كلُّهـا فحقَّ ولم يَعُدْ يَسَعْ حسنَها نُهى
واذ لم يكن في الناس ندٌّ لحسنهـا ظننَّا اباها البدرَ او أُمَّها مُهـا
لذا حارت الالبابُ في حسن وصفها ولم يقدر آن يُحصى ثنا فضلها لما
اذا اسفرتْ اخفى ضيا الشمسِ نورُها وادهشَ ابصارَ الورى ما بها بَها
فيا حبَّـذا ذلّي لديهـا وحبَّـذا دمايَ أنْ تشا قد لذَّ لي بَذلها لها
هي العروةُ الوثقى وهي الملجأُ الذي يقينا اذا ما الخطب من ضدّها دَها

ومن ادباء ذلك الزمان ايضاً شاعر آخر حلبيّ المنشإ عاش على عهد

الشماس عبدالله زاخر والخوري نيقولا الصائغ وراسلهما ثمَّ رثاهما بعد موتهما. وهو انطون بيطار من طائفة الروم الملكيّين الكاثوليك. وقد وقع في يدنا من نظمهِ شذرات ننشرها عند سنوح الفرصة. منها موشّح قالهُ في ميلاد الياس بن جرجس عائدة الحلبيّ سنة ١٧٥٢. ختمهُ بهذين الدورين في مديح الطوباويّة العذراء:

من أتى جبريلُ اهداها السلامْ وارتضت بالامر عن قلبٍ سليمْ
كم أرتنا صُنع آياتٍ عظامْ بالبتوليّة والسرّ العظيمْ
هذه هي سلطانة الرُّسل الكرامْ مَن نشا في حجرها الطفلُ الكريمْ
ابنةُ الآبِ وامُّ الابن ما عرشُها إلاَّهُ روحُ القدسِ
رمزها للأنبيا قد رُسما مذ رأى موسى لهيبَ القبَسِ

هي ذات الفقر بل عين الملا في رضاها لذَّ لي خبزُ المَلَلْ
ذكرُها المغبوطُ ما بين المَلا تجدُ الغوثَ بهِ كلُّ المِلَلْ
وهواها خالصَ القلب ملا مَن هواها (كذا) ليس يشكو من ملل
فتبذها ونادي (كذا) مرعيا احفظي مولودَنا بالرَّغدِ
وانشدِ الله بتاريخٍ سما يحفظ الطفل بربِّ الحرسِ

هذا ما عثرنا عليهِ من اقوال شعراء القرن الثامن عشر. امَّا في القرن التاسع عشر فاوَّل من نبغ فيهِ فهو الشاعر الرومي الملكيّ الكاثوليكيّ المرحوم نيقولا الترك لهُ ديوان كبير يتضمَّن من كلّ فصول الشعر بابًا منهُ نسختان في خزانة كتبنا الشرقيَّة. وقد راجعناهُ لعلَّنا نجد فيهِ اقوالاً عن البتول فلم يخب املنا. فانَّهُ كتب للوجيهين انطون صوصا وأيوب نصرالله ابياتًا يهنّئهما فيها بعيد نياح السيّدة. وهذا مفتتح القصيدة الاولى:

يهنيكمُ العيدُ البهيُّ الاجملُ والموسمُ السامي السعيد الافضلُ
عيدٌ لوالدةِ الالهِ مباركٌ ومقدَّسٌ فيهِ السرور الاكملُ
يا سعدَ مَن قد صام صومًا لائقًا في قربهِ فلهُ الجزاءُ المجزلُ
فليُهنكَ المولى بهِ وبمثلهِ لا زلتَ تحظى والسلامة تشملُ

وقال في الثانية :

يا ذا الهلال المفرد والمنقبات الحمده
جنيك عيد افضل فيه انتقال السيده
تلك المعظمة التي هي في السماء ممجده
سور النجا بحر الرجا ام الخلاص المنجده
بكر الى سبل الهدى والاستقامة مرشده
طوبى لنفسك حيث قد دانت لها متعبده
ولك السرور ببيدها والتهنئات المسعده

وقد اشتهر بعد نيقولا الترك شاعران آخران ملكيّان عاشا في ايامه مدّة ومدحا مثلهُ الامير بشير الشهابي لكنهما سبقاهُ بشعرهما المطبوع نريد بطرس كرامة والشيخ ناصيف اليازجي وقد اكّد لنا الثقة انهما نظما في العذراء مريم ابياتاً لم تزل مخطوطة . امّا ما طبع من شعرهما فلم نجد فيه ضالّتنا المنشودة

وكذلك لا تجد في مآثر المرحومين مارون ونقولا النقاش منظوماً في العذراء مريم الاّ انهما صنّفا بعض التراتيل التقوية في مدحها لا تزال شائعة بين الجمهور وهي مثبتة في المجموع المطبوع في مطبعتنا

ومن شعراء العصر الذين اكثروا من امتداح السيّدة البتول الحوري الفاضل الطيّب الذكر ارسانيوس الفاخوري (راجع ترجمتهُ في المشرق ٣ : ٦٠٦) فانّ ديوانهُ المخطوط يحتوي نيّفاً وعشرين قصيدة في والدة الاله . ولعلّهُ سبق الجميع في مدحها بعد اثبات عقيدة براءتها من الخطيئة الاصليّة . فمن ذلك موشّح يصف بهِ افراح ذلك العيد البهيج هذه بعض ادواره .

وافت البشرى بما يولي الجزلْ بصدور الحكم من قاضٍ عدلْ
لاح شمس الحقّ والبُطلُ انصرمْ وهلالُ الشكّ وراه العدمْ
واليقين اليومَ اضحى كالعلَمْ جالساً في العرش بالعزّ ركلْ

حدَّد الحبرُ مقالاً واتى مبحثٌ عن مريمٍ ذاتِ البها
مثبتاً للقول فيها انها حُفظت من دنسٍ منذُ الحَبَلْ

خصَّها الله بكونٍ اقدسٍ وسمت طهرًا ببرٍّ أنفسِ
وحباها فيضُ روح القدسِ لابنهِ امًّا دعاها من أزَلْ

وافت البشرى لاكرامِ البتول يبروزِ الحكمِ من حبرٍ عقولْ
أنشطَ الالبابَ بل سرَّ العقولْ وكساها بهجةً ما قد حصلْ

ألهم الله النبيلَ الاعظما بيوسَ التاسع اباتًا سما
والى الايمان ذا الحكم انتمى والذي يعصاه يُرديهِ الحَبَلْ

يا لبكرٍ طهرُها نجّى المَلا فناها لنيومٍ قد جلا
ما ترى يا صاحِ فيها كم حلا عِقدُ نظمٍ زانهُ درُّ النزلْ

يا عروس النشد قومي كلّلي عِرسَ لبنان ومجدًا سربلي
في علاها رنّمي بل هلّلي بنشيدٍ لا يحاكيهِ مَثَلْ

فهي عرشٌ فاق مجدًا للقديم وهي ذاك البابُ والطَّودُ العظيمْ
وهي تابوتٌ لعهدٍ والكليمْ قد رأى شبهًا لها فوق الجَبَلْ

قسطُ منٍّ طور سينا والغمامْ وعصا هارون ذيّاك الامامْ
فُلكُ نوحٍ برج داود الهمامْ جزَّةٌ قد عمَّ اجزاها البَلَلْ

يا بتولًا قد اتتنا بالسلامْ بوّأتنا بالعلى اعلى مقامْ
بجواها قد شفينا من سقامْ وبرينا من كلومٍ وشَلَلْ

وقال ايضاً في ذلك العيد:

فبشارة الإثبات للحَبَل النقيِّ م بمريم العذراء سيّدة الملا
في انَّ ذا الحبل الشريف مطهَّرٌ من كل عيب ثمَّ من دنسٍ علا
وبريئةٌ من وصمةٍ وخطيئةٍ اصليةٍ والسر في هذا انجلى
سُرَّت قلوب المؤمنين باسرهم وسرورها الاكوانَ طرًّا قد ملا
سنةَ الثمان لمائةٍ مع اربعٍ ألحقْ بها خمسين مع الفٍ تلا

ومن شعراء الازمنة الاخيرة الذين مدحوا مريم السيد الجليل المرحوم

جرمانوس الشمالي مطران حلب على الموارنة (راجع ترجمتهُ في المشرق ٥: ٨٥٠). ففي ديوانهِ نشيدٌ فيها افتتحهُ بقولهِ:

قدّموا للبكر مريمْ   قدموا الحب الثمينْ

ومنها:

انَّها الامُّ الامينهْ   عندها كنزُ المعونهْ   قرية الملجا المصونهْ   برج داود الحصينْ

من دنا منها يُصانُ   من نأى عنها يُهانُ   فهي للجاني جنانُ   أنبتت محيي الدفينْ

سوسنٌ بين القتادِ   عَرفها في كل نادِ   ذكرها يحلو لشادِ   فانشدوها هاتفينْ

جنّةٌ ضمن الصحارى   قدمت خمرَ العذارى   سكرها صحو السكارى   شكرها خبز البنينْ

ابنة الآب السماوي   امُّ إبنهِ المساوي   يا عروس الروح داوي   روحنا في كل حينْ

صانها المولى بريّهْ   زانها بين البريّهْ   فاتحفوها بالتحيّهْ   وافرحوا يا عابدينْ

ومنهم ايضاً شاعر مطبوع اشتهرت قصائدهُ في لبنان وهي حتى الآن لم تنشر بالطبع ألا وهو الخوري المأسوف عليهِ يوحنا رعد الغزيري وقد تلطّف اهلهُ الكرام فارسلوا لنا احدى قصائدهِ في مريم العذراء بناها على معنى آية سفر المزامير (٤٤: ١٣): «لوجهك يصلّي كل اغنياء الشعب» وها نحن نختار منها الابيات التالية:

يا كرامَ الحيّ وآلَ المعالي   حدّثوا في امجاد ذات الجمالِ

وانظموا في مديح فخر العذارى   شعركم من مستفخرات اللآلي

أشغل الكون مدحُها وثناها   مذ غدا سابحاً ببحر النوالِ

ملأ الارض والسماء سناها   فغدا كل ما نرى كالامالي

كلُّ مدحٍ في غير مريم لغوٌ   كل حسنٍ في غيرها كالخيالِ

قد تجلّت يوماً على طور قلبي   فلا وأناف كلَّ الجبالِ

تيّمتني اوصافها اشغلتني   عن سواها فها انا لا ابالي

ومنها: صورة الحسن والفضائل طرًّا ما لها قطُّ في الملا من مثالِ
صفوة الخلق وجا الخلق يزهو ربّة المجد في النسا والرجالِ
قرّة العين مشتهى كلّ قلبِ ورجانا من سالف الاجيالِ
امُّ يسوع امُّ ربّي وامي مهجتي غبطتي وروحي ومالي
ليت شعري باي لفظٍ بديع انظم المدح والثنا وأغالي
لقّنوني يا ساكنين حماها بعض ما تنشدونها في الاعالي
اتحفوني من لفظكم بنصيب ان وصف العذراء يعلو مقالي
مجّدوها يا فائزين بنورٍ من سناها يعلو تمام الليالي
مجّدوها يا من وصلتم لديها ورأيتم ما لا يجيءُ ببالِ
يا فتاةً جلبابها الشمس حقًّا تردهي في عين العلي بالدلالِ
فقتِ قدرًا في العالمين جميعًا وعلوتِ الاملاك مع كل عالِ
دارِكي من التقى عليكِ اتكالا يا رجاء النفوس كوني اتكالي

وكذلك جارى العلمانيون اربابَ الاكليروس في مديح مريم فحلّوا دواوينهم بما نظموه في مناقبها . من ذلك ابيات وردت في ديوان المرحوم سليمان بن ابراهيم صوله الرومي الملكي (المتوفى سنة ١٨٩٩) كتبها على صورة السيدة :

هذي البتول التي حلّ الاله بها فاطلب شفاعتها يا ايها الجاني
هذه التي اختارها عرشًا لقدرته ألْ باري وأخرى يباهي شأنها الشاني
هذه التي من ظلام الجهل تخرجني مبرّرًا قبل ادخالي بأكفاني
ما كنت احسبُ لولا حسنُ صورتها انَّ الاله اتى في زيّ انسانِ
يا دوحةَ الله يا بحر المراحم يا غوثَ الخلائق من قاصٍ ومن دانِ
ما لي سوى حبّكِ المغروس بي شرفٌ يا اشرفَ الخَلق يخزي كلَّ شيطانِ
حاشا حنوكِ ان يرضى بتهلكتي وبحرَ جودكِ ان يقضي بحرماني

ونختم هذا النظر في شعر اهل عصرنا بابيات نقتطفها من ديوان المأسوف عليه عزتلو الشاعر الشهير حنّا بك الاسعد بن ابي صعب فمن قوله :
مليكة طهرٍ مذ تناهى عفافها لدى الله رقاها مقامًا وسؤددا

تسامت على الاملاك قدرًا ورفعةً   وفاقت بوصفٍ جاء بالكون مفردا
هي البكر ثم الامُّ لابن العلي تُرى   وعرسٌ لروح الحقّ تُدعى لدى الندا
تفوق النهى مدحاً وتسمو السُّهَى عُلًا   وتحبو ذُكا نورًا وتُصبي جما الندى

وقال فيها قصيدتهُ الشهيرة التي مطلعها:

ما لي لسان ولو قرَّضتُ اشعارا   ولا جنانٌ ولو جوَّدتُ افكارا

الى ان قال:

ما الخَلقُ ما الكون ما الافلاك قاطبةً   ما السحبُ ما القطر ما قد فاض مدرارا
يأتون مدحًا لمن جاءت موحَّدةً   بين البرايا بوصفٍ بالملا سارا
عذراء طاهرةٌ بكرٌ ووالدةٌ   انعم بهِ لقبًا فيهِ النُّهى حارا
تُفاخر الشمسَ في طهرٍ سما شرفًا   وخوِّلت لظلام الدين أنوارا
وضوَّأت فلكَ التقوى فضائلُها   وطهَّرت في سناهِ الطهر اطهارا
عينُ البرارة ذات البر كثر جدًى   بحر الندى صيَّر الاشرارَ ابرارا
أمٌ بلا دنسٍ ما مسَّها بشرٌ   شمس التقى لن ترى في الشمس اكدارا
أمُّ المواهب غيث الرَّغس من قِدَمٍ   كم سحَّ في الكون تقبيلًا وامطارا
لم يأتِها من جنا جدّ الورى خطأٌ   بريئةٌ لن ترى التدنيس ادهارا
سليمةٌ لن يمسَّ العيبُ مدحتها   كريمةٌ تمنح الاكوانَ افخارا
حازت من الله خلقًا طبق بغيتها   هل يولد المرءُ في الدنيا كما اختارا
نالت مقامًا من المأن ليس لهُ   نِدٌّ وزانت من الجنَّات أخدارا

وختمها بقولهِ:

هي ابنة الآبِ أمٌّ لابنهِ دُعِيَت   عرسًا الى الروح لن نختال انكارًا
اتاها الله غوثًا للانام ومن   قد جاء مستشفعًا لم يلقَ أخطارا
يا من تسامت لدى الثالوث في صفةٍ   عجيبةٍ ادهشت عقلًا وابصارا
رقّي الينا ورقّينا الفضائل كي   نلقى المهيمن يوم الحشر غفَّارا
لكِ السلام من الرحمان ما طلعت   شمسٌ وابدى الورى للحقّ تذكارا

هذه نبذٌ قليلة جمعناها من دواوين الشعراء النصارى دون ان نتعرَّض لأعمال الذين لم يزالوا في قيد الحياة طالبين من العذراء ان تُطلق السنتنا على مدحها وتهبنا ان نطبع في قلبنا حبَّها ونجعل قدوتنا امثالها وفضائلها

التعبُّد للبتول

والرسالات اللاتينية في الشرق

نظرٌ للاب يوسف خليل اليسوعي

ما كاد السيد المسيح يوجّه رسلهُ الكرام الى انحاء المعمور ليبشّروا الامم ويعلّموهم الحقائق الخلاصيّة حتى قاموا باوامر الرب حقّ القيام ثم لم يتم ان تعفّى آثارهم ابطالٌ هجروا على مثالهم الاهل والاوطان وتفرّقوا في كل فجٍ ليدعوا الشعوب الى دين النصرانيَّة وهم يبذلون في سبيل الايمان النفس والنفيس لا تأخذهم في نشرهِ لومة لائم. وقد تتابع هؤلاء الدعاة الفضلاء جيلًا بعد جيل وتناوبوا لبذر الزرع الجيد في افناء العالم. واعصارنا الاخيرة قد عاينت من اعمالهم ما يُقضى منهُ العجب ونالت اوطاننا من همّتهم نصيبًا صالحًا ولو حاولنا وصف مساعيهم لاستغرق تعدادها مجلّدًا بل مجلّدات

واليوم حسبنا ان ندوّن على صفحات هذا العدد من المجلّة المختصّ بيوبيل عقيدة الحبل بلا دنس ما لهؤلاء المرسلين من الفضل في نشر التعبُّد للبتول الطاهرة في الشرق وذلك بغاية الاختصار لئلا تخرج بنا سعة المادّة عن الحدود التي تحرَّيناها. وانَّما نجني من كل روضة زهرة تقدّمها كطاقة زهيَّة لعرش ملكة السماء التي طُبع المرسلون على حبها فلم يفرقوا في بشاراتهم اسمها الحلو عن اسم ابنها الالهي

١ الرهبانية الكرملية

سبق الرهبان الكرمليُّون في الشرق جميع الفئات الرهبانيَّة. فان تقليدهم المتواصل يجعلهم كأخلاف لذلك النبيّ العظيم ايليَّا الحيّ الذي حظي على جبل الكرمل برؤيا تلك السحابة التي جيدت بها الارضُ بعد محلها ثلاث سنوات. والسحابة على رأي الآباء والمفسرين رمزٌ الى سرّ

حبل العذراء بلا دنس (راجع مقالة حضرة الاب انستاس الكرملي في اصل رهبانيّة الكرمل . في المشرق ٥ : ٦٣٢) . ثمّ صار الكرمل بعد ظهور النصرانيّة كمقام لعبادة العذراء لاسيّما براءتها من الخطيئة الاصليّة تألّبت اليه جماهير المؤمنين وانقطع فيه قومٌ منهم الى الطريقة النسكيّة واقفين نفوسهم لاكرام البتول الطاهرة . ومن اعيادهم التي كانوا يقيمون فيها الحفلات البهيجة عيد الحَبَل البريء من الدنس ارصدوا له يوماً في السنة وهو اليوم التاسع من كانون الاوّل على مألوف عادة الكنيسة اليونانيّة . ومن الكرمل انتشر هذا العيد الى الكنائس المجاورة (راجع مقالة الاب انستاس ٦٣٦)

وزاد الآباء الكرمليون على فضلهم هذا فضلًا جديدًا لمّا اصطفت العذراء مريم رهبانيّتهم في اواسط القرن الثالث عشر وقدّمت لرئيسها القديس سمعان ستوك ذلك الثوب الذي جعلته كشارة ابنائها الاخصّاء واعدة بانّ كل من يلبسهُ بتُقى يسلم من نيران الجحيم . فلبّى اولاد الكرمل دعوة سيدتهم وافرغوا كنانة جهدهم لنشر عبادة العذراء وثوبها المقدّس في كلّ اقطار العالم الكاثوليكي . وقد وجدوا في قلوب المسيحيين الشرقيين تربةً صالحة زرعوا فيها الحبّ والاكرام لوالدة الله وخصوصاً في رسالاتهم المتعدّدة في بلاد الشام ولبنان وما بين النهرين والعراق والهند فحبّبا حلُّوا استفزّوا المسيحيين بامثالهم ومواعظهم وتآليفهم الى اكرام امّ المخلّص المجيدة . وقد اضحى بهمّتهم ثوب الكرمل كعلامة تفرز الكاثوليك ممَّن سواهم وكسلاحٍ يردُّون به كلّ غارات العدوّ الجهنّمي

٣ً الاباء الفرنسيسيون

ظهرت الرهبانية الفرنسيسيّة في بلاد الشرق منذ القرن الثالث عشر . وكان منشئها الهمام القديس فرنسيس سبقها الى مصر وفلسطين فبشّر بالايمان واشاد بذكر البتول التي خصَّ نفسهُ وابناءهُ بخدمتها . ولمّا اضطرَّ الى ان يعود

الى ايطالية لم يلبث رهبانهُ ان لجروا الى الشرق وضربوا اطنابهم بين الطوائف المسيحية وقد اختاروا لسكناهم الاماكن التي وجدوا فيها آثار الفادي وأمهِ العذراء. فاقاموا فيها المعابد وشيَّدوا الكنائس التي كان يؤمها الحجَّاج من اقاصي البلاد فيتبرَّكون بزيارتها. ومن الآثار المريمية التي حفظوها لعبادة المسيحيين من آفات الدهر مقام سيّدة البشارة في الناصرة ومعبد زيارة العذراء لنسيبتها في عين كارم وكنيسة ظهور المسيح لامهِ بعد قيامتهِ وكنيسة رقود مريم في جبل صهيون وكنيسة قبر العذراء القريبة من جسماني وآثار أُخرى في صفورة وقانا وغيرهما كانت من اقوى العوامل على نشر العبادة للبتول الطاهرة استحقُّوا بحفظها شكر كل المتعبدين لامّ الله. هذا وانَّ المرسلين الفرنسيسيين قد امتازوا في كل الاجيال بمدافعتهم عن عقيدة الحبَل بمريم البريّ من كل دنس فلم يزالوا يسعون في تأييد هذا المعتقد ونشره بين الشرقيين بمواعظهم وما ابرزتهُ مطبعتهم القدسية من الكتب التقويَّة في محامد البتول الطاهرة

وقد قاسم الفرنسيسيين في نشر العبادة المريمية بين الشرقيين فرع آخر من الشجرة الفرنسيسيَّة الغنّاء ألا وهم الآباء الكبوشيُّون الذين ظهروا في الشرق في اواسط القرن السابع عشر فاحرزوا لهم شكر البلاد باعمالهم الصالحة. وكان سعيهم في بسط العبادة المريميَّة كسعي كل ابناء القديس فرنسيس. ومن اشبه اباهُ ما ظلم

٣ الرهبانية الدومنيكيَّة

انَّ ابناء القديس دومنيك ينتمون الى السيّدة العذراء منذ اوَّل نشأتهم فورثوا عن منشئهم الشهير عبادتهُ الممتازة لمريم التي مكّنتهُ من تذليل كل العقبات التي وجدها في سبيل مشروعاتهِ الخيريَّة. وقد ورثوا خصوصاً من ابيهم عبادة الورديَّة التي انعشت في كل الاقطار روح التقوى والنشاط في خدمتهِ تعالى. ولو اردنا ان نعدّد كل ما اصطنعهُ المرسلون الدومنيكيُّون لمجد

العذراء. لطال بنا القول. وفي تواريخ رهبانيّتهم تفاصيل واسعة تذكر اعمالهم في هذا الشأن منذ القرن الرابع عشر لاسيّما في رسالاتهم في ارمينية والكرج والعجم وما بين النهرين. وقد انشأوا في مدن عديدة اخويّات الورديّة فعمّت هذه العبادة كل الاصقاع الشرقية حتى انها صارت كثوب العذراء من مميّزات الطوائف الكاثوليكيّة. وقد ساعد على نشرها ما ألفهُ هؤلاء المرسلون في الورديّة واسرارها ونشروهُ بالطبع في مطبعتهم الموصليّة (المشرق ٥ :٤٢٣) جازتهم العذراء القديرة خيراً وافاضت عليهم سجال نعمها

٤ً الرهبانية اليسوعية

قد شهدت البراءات البابويّة انّ ابناء القديس اغناطيوس اينما رحلوا وحيثما احتلّوا سعوا بنشاط لم يعرف الملل في ترقية العبادة المريميّة. وما يصحّ اجمالاً في الرهبانيّة اليسوعيّة قد ثبت خصوصاً في رسالاتها الخارجة لاسيما في بلاد الشرق. فلمّا قدم اليسوعيّون الأوّلون الى هذه الاصقاع في العشر الثالث من القرن السابع عشر وتولوا في حواضر سوريّة والاناضول ومصر والعجم كان اوّل ما اتخذوهُ من الوسائط لتعزيز الايمان بين اهل الشرق نشر عبادة العذراء مريم التي عرفوا تعلُّق الشرقيين باهدابها. وكان اخوتهم في اوربّة انشأوا قبل خمسين عاماً الاخويّات المريميّة فنالوا بها من الاثمار الروحية ما لم يخطر على بال. فأسرعوا مذ استقرّت قدمهم في الاستانة العلية وسواحل الاناضول والعجم والشام ومصر الى انشاء مثل هذه الاخويّات فجمعوا المسيحيين تحت راية مريم ولقّنوهم لاكرامها كل الاعمال التقويّة من اعانة الفقراء وعيادة المرضى وخدمة المطعونين وزيارة المحبوسين وتعليم الاحداث حتى صار اعضاؤها قدوةً لكل الناظرين على اختلاف مللهم. وسبق الحلبيّون لِمَا عُرفوا بهِ من التُّقى ودماثة الاخلاق الى الانضواء في هذه الجمعيّات التقويّة وكثر عددهم حتى اضطرّ المرسلون الى ان يجعلوا لكلّ طائفة اخويّة بل

اخويّات كاخويّة الشبّان واخويّة الاحداث واخويّة التجّار. وقد وجدت بعض سجلّات هذه الاخويّات وفيها تفاصيل اعمال اصحابها المبرورة تنبئ بغيرتهم الملتهبة في خدمة النفوس. ولشعراء العصر قصائد في مدحهم واطراء شركاتهم

وكذلك اشتهرت اخويّة صيداء المنشأة في هذه المدينة لتهذيب التجار المتواردين اليها في ذلك العهد. وقد وصف الاب بسُّون في تاريخه « سورية المقدَّسة » ما نجم عن هذه الاخويّة من الخير العميم. وناهيك ان منها خرج رجال افاضل كفرنسيس پيكه الذي صار قنصلًا على حلب ثم قاصدًا رسوليًا. وفرنسيس لَنبرت اليسوعيّ الذي فتح دير عينطورة. وكان لليسوعيين اخويّات مثل هذه في دمشق وطرابلس وازمير ولكل واحدةٍ تاريخ مطول

وممّا عُني بهِ اليسوعيون الأَقدمون نشر العبادة لبرارة العذراء مريم وخلوّها من خطيئة الجدَّين الاوَّلين. سعوا بذلك جهدهم في مواعظهم وكتاباتهم وكان الاب يوسف بسُّون جمع من كتب الشرقيين الطقسيَّة نيِّفًا ومئتي شهادة تدلُّ على صحّة هذا المعتقد في كنائس الشرق جمعاء. ولمَّا اصدر البابا اسكندر السابع براءتهُ بخصوص برّ البتول في حبلها طار قلبهُ فرحًا ودعا رؤساء الطوائف الشرقيَّة في حلب مع عدَّة شهود بحضور القنصل الفرنسوي فرنسوا بارون فعرض عليهم براءة البابا وفسَّر لهم مضمونها مع بيان موافقته لنصوص الآباء الشرقيين وللصلوات الطقسيَّة ثم طلب اليهم ان يجاهروا بمعتقدهم ويعلنوا بهِ خطًّا ثم يُوقّعوا عليهِ بامضائهم. فاجاب البطاركة الثلاثة مكاريوس الروميّ واغناطيوس اندراوس السريانيّ وكاتشدور الارمني ثم اسطفان الدويهي النائب الاسقفيّ المارونيّ واقرُّوا بان كنائسهم تتَّفق كلها في ايمانها عن براءة العذراء من الخطيئة. وصادق ايضًا رؤساء الرسالتين الفرنسيَّة والكرمليَّة على هذا الامر. وأُرسلت شهاداتهم كلها الى رومية وكان الاب بسُّون يؤمّل انَّها تكون من اقوى العوامل لاثبات عقيدة الحبل

بلا دنس. وقد وجدت هذه البطاقة آخراً فنشرت في مجلة التمدن الكاثوليكي سنة ١٨٧٦ كما سبق في المقالة الاولى من هذا العدد

ثم ثارت بالرهبانية اليسوعية صروف الدهر كادت تكون قاضية عليهم فخلا الشرق منهم ستين سنة ثم عادوا في العشر الرابع من القرن السابق الى رسالتهم في سورية بعد ان كتب بطاركة الشرق الموارنة والسريان والارمن عرضاً يلتمسون رجوعهم سنة ١٨٣١ بصحبة السيد الجليل والذائع الشهرة مكسيموس مظلوم. فرحب بهم اعيان البلاد والاهلون وأقطعوهم املاكاً في الجبل بنوا فيها اديارًا ولم يزل نطاق اعمالهم يتسع حتى بلغ ما نعرفهُ منها اليوم

وجرى آباء الرسالة الجديدة على آثار أسلافهم في نشر العبادة المريمية. فمن ذلك أنهم سبقوا الكل الى نشر عبادة الشهر المريمي فامتدت الى كل انحاء المشرق بعد ان باشروا بها لاول مرة سنة ١٨٣٦ في بكفيا الاب سليمان استاف (راجع المشرق ٥ : ٢٨٩)

ثم تذكروا ما نالهُ اخوتهم الأقدمون من ثمار الخلاص بانشاء الاخويات التقوية فبادروا الى عقدها في كنائسهم وحضوا غيرهم على استعمالها حتى لا تكاد تخلو منها اليوم بلدة او طائفة. واحدى هذه الاخويات هي التي أُنشئت في بيروت سنة ١٨٤٩ لوجوه المدينة. وكانت اول اخوية على اسم سيدة الحبل بلا دنس وذلك قبل اثبات العقيدة بخمس سنوات. (راجع الخلاصة الذكية المطبوعة سنة ١٨٩٩ في يوبيل هذه الاخوية)

ولا نعدد هنا وسائل أخرى توسلت بها الرهبانية اليسوعية لنشر العبادة لمريم منها المعابد المشيدة على اسمها والزيارات السنوية لمعابدها واكرام بعض صورها العجائبية كصورة سيدة النجاة في بكفيا وصورة سيدة التعزية في تعنايل ومنها ايضاً مطبوعاتهم في مناقبها ومدافعتهم عن عقيدة حبلها البري من

دنس الخطيئة . الى غير ذلك مما يعدهُ الرهبان اليسوعيون كفرض واجب عليهم مقابلةً لما ينالونهُ من مراحم هذه الامّ الحنونة من النعم والبركات

٥ الجمعية اللعازريّة

ارسل الكرسي الرسولي آباء الجمعية اللعازريّة الى بلادنا بعد تفرق شمل اليسوعيين في اواخر القرن الثامن عشر ليخلفوهم في اعمال رسالتهم . فقاموا باعباء هذه المهنة قياماً يشهد لهُ كلُّ من رأى نشاطهم في فلاحة كرم الربّ . ولمَّا كانت احدى غايات منشئهم الجليل القديس العظيم منصور دي بول ان يبثُّوا في القلوب الحبّ لمريم ويذبُّوا خصوصاً عن عقيدة براءتها من كل دنس في حبلها اخذوا على نفوسهم الّا يدعوا فرصةً دون ان يحرّضوا المؤمنين على تحقيقها ونشرها . وقد جازتهم هذه البتول الطاهرة لمَّا شاءت سنة ١٨٣٠ ان تُعطي الكنيسة عربوناً جديداً عن شفقتها الوالديّة فاختارت احدى راهبات المحبة لتتحف بواسطتها العالم المسيحي بايقونتها العجائبيّة كما ورد في المشرق (٤ : ١٠٣٨) فضاعف ابناء القديس منصور وبناتهُ مساعيهم في تعزيز اسم مريم وبثّ العبادة لحبلها الطاهر فاجرى الله على ايديهم معجزات لا تُحصى بواسطة تلك الايقونة المقدسة لاسيما بين تلامذة مدارسهم وبنات اخويّاتهم ويتامى مياتمهم ومرضى مستشفياتهم اجزل الله عليهم اسبغ نعمهِ واغزر هباتهِ

هذا وتقرّ في ختام نبذتنا الوجيزة أنّنا لم نستوفِ جمعيّات المرسلين حقها ولم نصف من اعمالها في سبيل العذراء الّا النزر القليل كما أنّنا لم نتحرَّ لذكر الجمعيّات الرهبانية التي نشأت حديثاً في بلادنا كالرهبان البيض واخوة المدارس المسيحية والاخوة المريميين وراهبات القديس يوسف وراهبات الناصرة مع ما لجميعهم في ذلك من الايادي المبرورة والافضال المشكورة حال دون رغبتنا ضيق المقام واتّساع الموضوع مستميحين من الجميع عذراً وملتمسين من العذراء ثواباً لكل من يسعى في خدمتها

كلّكِ جميلة وليس فيكِ عيب

(سفر النشيد ٤:٧)

بقلم حضرة الخوري حنّا طنّوس احد مدرّسي العربية في كلية القديس يوسف

نظمها خمسين بيتًا مضمّنًا اوّل كلّ بيت حرفًا من احرف السلام الملائكي

السلام لكِ يا مريم يا ممتلئة نعمة الرب معكِ
وباركة انتِ في النساء (لوقا ١:٢٨)

اهدوا السلامَ وحيُّوا ربّة النِعَمِ صَفوَ الخلائق امَّ اللهِ والأُممِ
لاحتْ بعالمنا بالنور طالعةً كنجمة الصُبح لاحت في دُجى الظلمِ
سُمُّ الخطيةِ لم يَمَسْ طهارتها فهي البريئة من اوزار إثمهمِ
لم يلحظِ اللهُ فيها شبهَ شائبةٍ او ظِلَّ بائقةٍ او ريبةَ التُهمِ
الآبُ كمّلها والابن جمّلها والروح كلّلها في اعظم العِظَمِ
من قبل ما ولدت كانت مقدسةً من فور تصويرها في حيّز النَسَمِ
لمّا تبدّت بنور الطهر ساطعةً نادى الملائك مَن هذه بجمعهمِ
كالصبح مشرقةٌ كالبدر مشرقةٌ كالشمس مختارةٌ تخفي ضيا النجُمِ

*

يا إبنة اللهِ انّ الآب كمّلكِ عزّي وتيهي دلالًا يا ابنة الملكِ
ابهى الجمالِ كمالُ الحسنِ جمّلكِ يا نجمة الصُبح زيني قبّة الفلكِ
من لا يرى حسنكِ الفتانَ فهو عمي

*

من ينكر اليومَ أنَّ الله البسها دُون الخلائق حَلْي الطهر والعِصَمِ

راس الخطيئة يعني راس حيتهم معنى النبوة مفهوم من القِدَمِ
يا ويل راسكَ يا ابليس فارتعدن واهبط الى لُجّة النيران وانهزمِ
من تسحق الرأسَ في العلياء قد ظهرت محفوفةً بجلالِ النور والنِعَمِ

*

يا حسن طلعتها في مشهد العجبِ تعنو لعزّتها الافلاك في رهبِ
اشراق صورتها ابهى من الشهبِ حيث طهارتها الاملاكُ في طربِ
غنّت ببهجتها في أطيَب النغمِ

*

ملاك نورٍ على الفردوس يحرسهُ من اللصوص بسيف النار والنقمِ
من مريم جنّةِ الفردوس كان لنا مبدا الحياة ومنها صيّبُ الديمِ
تمّ بها الرمزُ فالرحمان حصّنها ضدّ الابالس من آفاتِ مكرهمِ
لولا السفينة باد الناس اجمعهم من ماء طوفانهم في وهدة العدمِ
يمُّ الخطيئة بالطوفان غرّقنا من دون مريمَ في تفسير رمزهمِ
تحت المياه جموعُ الخلق قد غرقت الا السفينة فوق الماء والقمَمِ
نوح يمثّل ربّ الخلق قاطبةً اذ خلّص الناس من طوفان شرهمِ
علّيقةٌ في لهيب النار مُشعلةٌ لم تحترق في سعير من لظى الضرمِ
معنى اللهيبِ شرارُ الشرّ في بشرٍ فمريمٌ قد نجت من حرّ نارهمِ
تابوتُ عهدهم المطليّ في ذهب منّا السلام على تابوت عهدهمِ
انظر أريحا التي اسوارها انهدمت عند الطواف بهِ ايّام حربهمِ
لمّا تبدّى على الاكتاف مرتفعاً فوق المياه معلّى يومِ عبرهمِ
رأت سناهُ مياهُ النهر فانفلقت قسمين شرقاً وغرباً ايّ منقسمِ
بذاك نعني مياه الاثم اذ نظرت تابوتنا انهزمت في كل منهزمِ
ما بال استير تخشى حكمَ سُنّتنا ليست عليكِ ابا استير فابتسمي

عزّي وتيهي بنصرٍ قد غدا عجباً يا رأس هامان قد ذُلّتْ للقَدمِ

*

كلُّ الجمال بها لا عيب دنسها فالروح يشهد بالامثال والحكمِ
ورد الجنّة بين الشوكِ سوسَنَةٌ وزنبقُ الطهر عرفُ طيّبِ النَّسمِ

*

محبوبتي جنّةٌ في وردها ازدهرتْ بالقفل مُقفلةٌ بالزهر قد عطرتْ
بالختم مختومةٌ في طهرها اشتهرتْ مُرٌّ وفاغيةٌ للطيب قد نشرتْ
اثمارها عذبةٌ تشفي من الغُمَمِ
راحٌ بريحانِ فردوسُ رُمّانِ في طيب ادهانِ مع لين اغصانِ
كالنخل والبانِ انهار لبنانِ تجري لعطشانِ في كل ازمانِ
تأتي لولهانِ من ارفع القِمَمِ

*

ابهى المشاهد في الدنيا واعجبها جبريلُ يهدي الثنا في اطيب الكَلِمِ
نزى الملائك من اعلى السما انحدرت تعنو وتخضع للعذراء كالخدمِ
تاهت عقول الورى مما ترى عجباً لا تعجبوا اذ تسامت امُّ ربّهمِ
فوق الملائك والافلاك مركزها قرب الاله حذاء العرش فافتهمِ
يا ارزَ لبنان بل يا مجد قمّتهِ يا عزَّ أُمتِهِ يا غوث معتصمِ
أنتِ التي خصّكِ المولى بنعمتهِ بين الانام بفيض الجود والكرمِ
لكِ السلام سلام الله يا املي لك الهناء بما قد نلت من نعمِ
نلتِ المقامَ الذي لا عقل يدركهُ اذ انتِ اطهر خلق الله كلّهمِ
سُدْ بيُّسَ الحبر اذ اثبتَّ عصمتها اثبتَّ أنكِ معصوم لدى الحَكَمِ
« انتِ البريّة من عيبٍ ومن دنسٍ » « انتَ البريُّ من الاغلاط فاحتكمِ »

مطبوعات شرقية جديدة

Témoignages de l'Eglise Syrio-Maronite en faveur de l'Immaculée Conception, recueillis par les PP. J. et P. Hobeika. *Liban*, 1904 pp 64+98

شهادات فروض الكنيسة المارونية السريانية في براءة العذراء من الخطيئة الاصلية

نوّهنا في فصل سابق بذكر هذا الكتاب الذي الحقهُ الابوان الفاضلان يوسف وبطرس حبيقه بتأليفهما المعنون « بالالقاب المريميّة في فروض الكنيسة المارونية » (راجع الصفحة ٩٣) فجاء متمّماً لفوائدهِ ٠ ومن راجع هذه الشهادات الصادعة ببراءة البتول منذ حُبل بها في البطن لا يسعهُ الّا الشكر لله عمّا الهمهُ آباء الكنيسة الشرقية بخصوص هذا المعتقد كما انهُ يشكر حضرة الابوين على نظمهما هذه الدرر في سلك يزيدها حسناً

La Vierge Marie dans l'histoire de l'Orient chrétien Par l'abbé J. Lémann, *Paris, Lecoffre*, 1904, p. 640

مريم العذراء في تاريخ الشرق المسيحي

اخذ الكتبة الكاثوليكيون بنسبة هذه السنة اليوبيليّة يوجّهون الى ام المدن التآليف المختلفة في مريم والدة الله ٠ وممّا بلغنا منها حديثاً هذا الكتاب النفيس الذي كتبهُ احد مشاهير الكهنة القانونيين في ليون وهو الخوري يوسف ليمان الخطيب الفرنسوي المصقع قد جمع فيهِ ما يختصُّ بالعذراء وعلاقاتها مع بلادنا الشرقية وقسم ذلك الى ثلاثة اقسام وفقاً لثلاثة اطوار تاريخ الكنيسة في قرون النصرانية الاولى ثم قرونها المتوسطة ثم الاخيرة ٠ وقد شرح ذلك لا على طريقة تاريخية بل على نمط خطابي بانشاء بديع وعبارات جزلة فخيمة تنبئ بعواطف صاحبها البنويّة نحو ملكة السماء وبحبّهِ المضطرم للشرق المسيحي الذي يرجو ترقيهُ في معارج الفلاح بشفاعة البتول

الطاهرة التي قدستهُ بحياتها وموتها . فنشكر لحضرة الكاتب همّتهُ في نشرهِ هذا الكتاب ونحضّ ابناء الشرق ان يسرّحوا في مروجهِ النضرة ابصارهم ل . ش

شذرات

مكتبة مريم نجمع في هذه اللمعة كلّ ما بلغ الينا علمهُ من المطبوعات والمخطوطات التي كُتبت في مريم العذراء بالعربيّة دون الفصول الموجزة

* ١ المطبوعات * (رومية العظمى) ١ المتعبد لمريم ترجمة الخوري ديونيسيوس حجّار (١٧٦٥ ص ٤١٤) = ٢ كتاب امجاد مريم للقديس الفنس ليكوري تعريب السيد مكسيموس مظلوم (١٨٢٧ ص ٦٩٧) = ٣ كتاب الزيارة اليومية لسرّ الافخارستيا ولايقونة والدة الاله تأليف القديس الفنس ليكوري وتعريب السيد مكسيموس مظلوم (١٨٢٩ ص ٣٤٨) = ٤ كتاب الشهر المريمي للاب موزرلي اليسوعي تعريب القس لاوس المتبنّي (١٨٣٨ و١٨٤٨ ص ٣٤٨)

(قزحيا) ٥ زيارة الافخارستيا وايقونة والدة الاله المطبوع في رومية (١٨٣٩)

(حلب) ٦ كتاب زيارة القربان المقدس والطوباويّة مريم البتول للخوري ارنول عرّبهُ الاناغنوسطوس جرجس صبب السرياني (١٨٦٣ ص ٣٨٢)

(القدس) مطبعة الآباء الفرنسيسين: ٧ الشهر المريمي للاب موزرلي (١٨٥٣ ثم ١٨٧٦ ص ٢٢٦) = ٨ امجاد مريم المطبوع في رومية (١٨٦٧ جزءان ص ٤٠٨ و٦٠٢ ثم بقطع اكبر ص ٢٢٨ و٢٢٠) = ٩ كتاب تسمويّات معيّنة للاعياد الاحتفاليّة للسيدة والدة الاله الكلي قدسها معرّب عن الايطالية والاسبانيّة (١٨٦٢ ص ٢٨٥)

مطبعة القبر المقدّس: ١٠ ترتيب الاربع وعشرين بيت (كذا) لوالدة الاله وطقس الميطاليبيّ (١٨٥٧ ص ٦٤) = ١١ الزهرة النضراء في نياح العذراء (١٨٨٧ ص ٨٨)

(بيروت) مطبعتنا الكاثوليكية: ١٢ كتاب الشهر المريمي ملخص عن موزرلّي طبع حجر (١٨٥٣ ص ١١٦) ثم تجديد طبعة رومية بحروف (١٨٥٤ الخ ص ٣٥٢) = ١٣ كتاب فرض اخويّة الحبل بلا دنس (١٨٥٤ الخ ص ٢٧٦) = ١٤ خدمة سيّدتنا مريم العذراء تُتلى في اخويّاتها عن انفس الموتى (١٨٦١ ص ٢٤ الخ) = ١٥ الزيارة اليوميّة للقربان ولايقونة والدة الاله المطبوع في رومية (١٨٦٤ الخ ص ٣٢٤) = ١٦ اصل ثوب سيدة الكرمل (١٨٧٣ ص ٢٦) = ١٧ رتبة شهر ايّار المخصص لاكرام مريم البتول (١٨٧٧ ص ٢١) = ١٨ كتاب طريق البرارة لخادم البشارة

وهي قوانين انشأها البطريرك مكسيموس مظلوم (١٨٨٦ ص ٢٣٠) = ١٩ كتاب الكترين الانفسين في العبادة لقلبي يسوع ومريم الاقدسين للابوين بركو ومنفردي اليسوعيين (١٨٨٧ ص ٢٢٤) = ٢٠ مريم العذراء وثوب قلب يسوع الاقدس (١٨٨٨ ص ٢٢) = ٢١ تحفة المنارب في سيدة لورد امّ العجائب للعلّامة دانيال باربه تعريب القس افرام الديراني (١٨٩٤ ص ١٤٣) = ٢٢ ردّ على منشور بطريرك الروم القسطنطيني في ما يتعلّق بعقيدة الحبل بلا دنس للاب انطون صالحاني (١٨٩٧ ص ٣٠) = ٢٣ معبد سيدة القلعة في بلاد عكّار لمحة تاريخيّة للاب يوسف غودار اليسوعي عرّبها نجيب افندي باخوس (١٩٠٠ ص ١٩) = ٢٤ سيدة النجاة تاريخها ومعجزاتها للاب ل. شيخو اليسوعي (١٩٠١ ص ١٥) = ٢٥ طريقة جيّدة التأمّل في اسرار الورديّة المقدسة (١٩٠١ ص ٤٧) = ٢٦ الكوكب الشارق في مريم سلطانة المشارق للاب امبداي لوريول اليسوعي عرّبهُ الشيخ يوسف ابو سليمان (١٩٠٢ ص ٣٦٦)

المطبعة العمومية: ٢٧ قوانين اخويّة العذراء البريئة من الدنس (١٨٦٥ ص ٢١٤) = ٢٨ تحفة القرّاء في اثبات دوام بتولية العذراء للمطران بولس مسعد مطران طرسوس (١٨٦٩ ص ٦٣) = ٢٩ اجتناء الاثمار في تكريس شهر ايّار للاب اسطفانوس برسالي عرّبهُ القس يوسف الشابي (١٨٧٦ ص ٢٤٩) = ٣٠ شهر ايّار المخصص باكرام مريم البتول تأليف الخوري بولس شاسا القوسطاوي الماروني (١٨٩٠ ص ٤٢٣)

المطبعة الادبية: ٣١ المغرم بعبادة مريم تعريب القس افرام الديراني ١٨٩٨ ص ٥١٩

مطبعة الآداب: ٣٢ المغتم في تكريم سيدتنا مريم للخوري ميخائيل دلال (ص ١٢)

مطبعة الفوائد: ٣٣ لورد وفتاتها بقلم السيد جرمانوس معقد مطران اللاذقية (١٨٩٦ ص ٩٥) = ٣٤ خدمة زيارة العذراء للسيد مكسيموس مظلوم = ٣٥ البلاغة الشرقية في مديح مريم الدائمة البتولية (ص ١٢)

(لبنان) مطبعة اهدن: ٣٦ كتاب قوانين اخويّة الحبل بلا دنس (١٨٦٥ ص ١٦٠) — (مطبعة الارز): ٣٧ كتاب الشهر المريمي نقلهُ من الافرنسية الخوري بولس متّى (١٨٩٧ ص ١٩٢) — ٣٨ عبادة الخمسة عشر سبت الوردية (١٩٠٢ ص ٥٦٣) — (المطبعة العثمانية): ٣٩ صورة صيدنايا وعجائبها لسعدى هلال — (المطبعة اللبنانية في بعبدا): ٤٠ كتاب الالقاب المريمية في فروض الكنيسة المارونية بالعربية والفرنسية للابوين يوسف وبطرس حبيقة (١٩٠٣ ص ٦٨ + ٢٩) = ٤١ شهادات فروض الكنيسة المارونية السريانية في براءة مريم العذراء من الخطيئة الاصلية (١٩٠٤ ص ٩٨ + ٦٤)

(الموصل) مطبعة الآباء الدومنيكيين: ٤٢ كتاب فروض سيدتنا مريم العذراء الصغير بحسب الطقس الدومنيكي (١٨٦٤ الخ ص ١٦٨) = ٤٣ وبحسب الطقس

الروماني (١٨٦٤ ص ١٦٥) = ٤٤ كتاب زيارة القربان المقدس وزيارة مريم العذراء تعريب القس يوسف داود (١٨٦٩ الخ ص ٢٣٠) = ٤٥ كتاب المتعبد لمريم للاب سنيري اليسوعي (١٨٧٠ و ١٨٩٦ ص ٢٠١) = ٤٦ كتاب النزهة في الورود يمثل ظهور السيدة في لورد عرّبهُ القس جرجس السرياني (١٨٩٣ ص ٢٦٠) = ٤٧ مصحف الوردية المقدسة (١٨٦٧ ص ٢٥٢) = ٤٨ شرح مختصر في اخوية الوردية (١٨٨٣ ص ٤٨) = ٤٩ عبادة الوردية المؤبدة (١٨٨٠ ص ٦٤) = ٥٠ طريقة سهلة للتأمل في اسرار الوردية (١٨٨٠ ص ٦٤) = ٥١ دستور الوردية المقدسة (١٩٠٠ ص ٦٨) = ٥٢ ثوب سيدتنا ذات الكرمل (١٨٨١ ص ٣٠) = ٥٣ ثلاثة ينابيع نعم للانفس المسيحية (١٨٨٠ ص ٩٦) = ٥٤ كتاب الشهر المريمي تأليف الاب مترولي اليسوعي (١٨٧٦ ص ٢٨٤) = ٥٥ كتاب الشهر المريمي يتضمّن تأمُّلات في سيرة سيدتنا مريم العذراء تعريب غبطة السيد اغناطيوس افرام الثاني الرحماني (١٨٩٢ ص ٢٥٦) = ٥٦ خمسة مزامير القديس بوناونتورا اكراماً لمريم العذراء (١٨٩٢ ص ١٢)

(الاسكندرية) مطبعة الاتقان: ٥٧ اكرام سيدتنا مريم العذراء للخوري بولس عويص (١٩٠١ ص ٤٦) = ٥٨ الشهر المريمي لهُ (١٩٠٢ ص ٢٤٦)

(المانيا) ٥٧ اخبار يوحنّا السليح في نقلة امّ المسيح عن مخطوط قديم طبعهُ بالعربية واللاتينية انكر في البرفلد (١٨٥٤ ص ١٩ + ١٠٧)

☆ ٢ المخطوطات ☆ ١ مخطوط يحفظ في دير الشير اسمهُ تاريخ الجامع الّفهُ البطريرك مكاريوس في القرن السابع عشر جمع فيهِ الرموز عن العذراء مريم (افادنا هذا حضرة الاب ق. باشا) = ٢ كتاب عجائب العذراء يحتوي خبر ٦٨ معجزة اصطنعتها البتول في نحو ٢٠٠ صفحة في مكتبتنا الشرقية. ومنهُ نسخ عديدة في مكاتب الاديرة ومكاتب الخاصّةمنها نسخة في بيت الفقيد بشاره الخوري = ٣ مجموع آخر يحتوي في قسمهِ الاوّل (ص ١–١٤٨) اخبار عجائب العذراء وهو يختلف عن السابق (في مكتبتنا) = ٤ كتاب شرف مريم العذراء للاب اغناطيوس كليسون اليسوعي كتبهُ في حلب سنة ١٦٧٠ ونقل فيه كثيراً من تآليف الاب بواره اليسوعي المعروف بالاكليل المثلّث في مكتبتنا منهُ نسخة غير كاملة. وكذلك وجدناهُ في يد احد الرهبان الموارنة الحلبيين = ٥ سيرة السيدة العذراء للراهبة الشهيرة مريم دي اغريدا منقولة الى العربية. في مكتبتنا نسختان من الجزء الاوّل كُتبت الواحدة سنة (١٧٣٠ ص ٢٥٠) = ٦ خبر ايقونة صيدنايا في ١٦ صفحة في احد مجاميع مكتبتنا. وجدناهُ في حمص = ٧ كتاب يسوع الحبيب ومريم الحبيب وهما سفران جليلان للاب نيرمبرج اليسوعي عرّبهما الاب بطرس فروماج تاريخ نسختنا سنة ١٧٣٨ = ٨ التعبد للعذراء

تأليف احد الآباء اليسوعيين كُتب في القرن الثامن عشر يصف في ٤ اقسام عظمة العذراء مع بيان مفاعيل رحمتها وقدرتها والوسائط المختلفة لاكرامها (ص ١١٠) = ٩. كتاب منارة البائسين في عبادة ملجأ المؤمنين. وهو كتاب واسع في عظم مقام العذراء وفضائلها واكرامها واعيادها جمعهُ الاخ الياس كنعان اليسوعي (١٨٦٩ ص ٦٨٢) = ١٠ شرح طلبة العذراء تعريب رئيس الاراضي المقدسة لدومنيك دي لوقيليانو عند جناب ف. مشحور = ١١ كتاب الثيوتكيات. اي تسابيح العذراء بالعربية والقبطية (المشرق ٥ : ٥٤٤)

تسبحة العذراء لجناب الاديب محبوب افندي الشرتوني

تعظّم مُبدعَ الاكوان نفسي | وتشكر جودهُ العالي ألسنينا
كريمٌ قال حين رأى اتضاعي | ألا فلتُكرمِ العبدَ الامينا
لذلك فلتطوّبني البرايا | مدى الدنيا ودهر الداهرينا
علوتُ بنعمة الباري تعالى | ألم يجدر بمدح المادحينا
هو القدّوس ربّ الخلق ابدى | عظائمَ بي تفوق العالمينا
إلهٌ يملأُ الفقراء خيرًا | ويُفرغُ ان اراد الموسرينا
ومهما مرّتِ الاجيالُ تلحق | مراحمُهُ العبيد الصالحينا
يقرّبُ من حماهُ خائفيه | ولكن يطردُ المتكبرينا
يحطّ القادرين عن الكراسي | ويعلي معشر المتواضعينا
برحمته لاسرائيل قومي | وفى لخليله وعدًا مُبينا

أسئلة وأجوبة

س سألنا من حامات جناب نصر الحوري كيف يطلق الكاثوليك لفظة التعبُّد على خدمة مريم العذراء ولا يعبد غير الله ؟

ج اعلم انّ للفظة التعبُّد معنيين اولًا الاكرام اجمالًا وهذا ممّا يجوز اطلاقهُ على كل اولياء الله وخصوصًا على خدمة والدة الله. بل ربّما أطلق على الخضوع للملوك. ثانيًا اداء واجبات المخلوق لخالقهِ. وهذا المعنى محصور فيه تعالى ل. ش